

احداث هذه الرواية حقيقية

صدرت الطبعة الاولى عام ٢٠٠٩م

ترجمت الى الانكليزية وطبعت عام ٢٠١٤م

صدرت الطبعة العربية الثانية عام ٢٠١٥م

عدي عدنان البلمداوي

رقدا لين

رواية

طبعة ثانية

مؤسسة البلمداوي للطباعة ٢٠١٥م

الشمس أخذت تلملم أذيالها والسماء بدأت تعرض مشهدها الشتوي، بعض قطرات المطر راحت تتراقص على الطريق الإسفلتي، وبعضها الآخر أخذ ينساب على جدران المباني غاسلة ثيابها الصيفية، مانحة إياها رائحة الشتاء. كان هذا عام ١٩٩٨ ، في ليبيا، شهر شباط، يوم الاثنين، الساعة الواحدة ظهرا تقريبا حيث حصل اللقاء بين اديب وفرات.

خرج اديب من المعهد بعد أن أنهى عمله متوجها لشراء الخبز من المخبز الواقع يسار المعهد على الشارع الرئيسي لمدينة رقدالين، وبينما هو في الطريق لمح في آخره شخصا بدا له انه عراقي، تساعل مع نفسه:

- لا اظنني اعرف هذا الشخص، لم اره من قبل، ربما يكون مدرسا جديدا هنا او انه يقصد زيارة صديق له، كانت الاجابة تختصر طريقها اليه حين استوقفه فرات.

- سلام عليكم

- و عليكم السلام

- حضرتك عراقي؟

- نعم اخي تفضل.

- هل يمكنك مساعدتي في الوصول الى بيت استاذ علاء الذي يعمل في المعهد العالي لاعداد المدربين.

- بكل سرور، سأرافقك الى هناك لانه لا يمكنك الوصول وحدك بسبب تداخلات الطرق الرملية المؤدية الى البيت.

- ارجو ان لا اسبب لك حرجا.
- على العكس يا أخي، (بس اسمح لي اشترى خبز ونمشي).
- يبدو انك جديد على المنطقة، لم ارك هنا من قبل.
- هذه اول مرة ازور فيها رقدالين.
- واين تعمل حضرتك ..؟
- لقد وصلت منذ ايام فقط، كنت اعمل في الاردن وبسبب مدة الإقامة بـ (٦) اشهر فقط اضطررت للسفر، وانت تعرف ظروف العراق وكلفة السفر ومتاعب التجنيد والجوازات وما الى ذلك، لهذا لم استطع العودة، وفكرت بالسفر الى سوريا لقربها من الاردن لكن المشكلة انها تحتاج الى موافقة، واتضح لي ان هذه الموافقة تحتاج الى وقت ولم اكن امثلك المزيد منه لانني لم اكن اعلم بذلك، وفكرت بالسفر الى اليمن، لكن كلفة تذكرة السفر منعني، واخيرا فكرت بالمجيئ الى ليبيا.
- هذا يعني ان وجودك مؤقت؟
- في الحقيقة هكذا هي النية ولا ادري ماذا سيحصل، ربما افكر بالاستقرار هنا ان وجدت لي عملا...
- لا اخفيك انني قد تعبت من معاملة الاردنيين السيئة خصوصا اجراءات الدولة المشددة مع العراقيين وحسب ما نسمع ان ذلك كان بطلب من الحكومة العراقية.
- احتمال كبير، وماذا كنت تعمل في الاردن؟

- عملت في مجالات عديدة، فترة في معمل طابوق، وفترة في شركة مقاولات.
- ربما تكون افضل حالا من كثيرين عملوا في المطاعم والمزارع وغيرها ونحن هنا نسمع كثيرا عن سوء معاملة الاردنيين ! للعراقيين (بس العتب مو عليهم !!! العتب على الزمن وان شاء الله كلشي يتصلح).
- هل الاستاذ علاء صديقك ام قريبك؟
- انا ابن عمته.
- اهلا وسهلا، اعرفك بنفسي: انا اديب، اعمل في المعهد الذي مررنا بقربه قبل قليل ان كنت انتبهت اليه.
- صار لك هواية هنا..؟
- منذ السنة الماضية.
- هم اكو مجال احصل على عقد عمل هنا؟
- من الممكن، فانا مثلا لم اتعاقد من خارج ليبيا بل حصلت على العقد من الداخل، لكن المشككة هي وقت التعاقد، فنحن الان في شهر شباط وقد يصعب فيه مثل هذا الامر ويبقى الرزق على رب العباد.
- ما هو اختصاصك؟
- انا مهندس كيمياء.
- الله يوفقك وييسر لك الحصول على عقد عمل.
- وصلنا بيت استاذ علاء، لنر ان كان موجودا.
- يبدو انه ما زال في المعهد.

- متى ينتهي عملهم ؟
- الدوام في المعاهد العليا يختلف عنه في معاهدنا، فربما لديه محاضرة هذا الوقت، والآن لم يبق لك حجة سترجع معي لتتغدى ونستريح ثم نعود الى استاذ علاء عصرا.
- لقد اتعبتك معي اليوم استاذ اديب.
- (عيب عليك يا رجل، وين صار حـق الضيافة، وين صارت النخوة العراقية، ثرة الدنيا بعدها بخير).
- ان شاء الله بوجود الطيبين.
- و شلونها الحياة في ليبيا ؟
- على العموم هي حياة هادئة جميلة، الناس طيبون، يحترمون المدرس والاستاذ، وخصوصا العراقي.
- بصورة عامة الليبيون لا يزالون خارج حدود التأثير بفوضى العالم اليوم، لا تزال لديهم النخوة العربية، وروح القبيلة ما زالت تسكنهم، ومع وجود بعض المنغصات فان الحياة تبدو هادئة، البيئة نظيفة، التعامل لا بأس به، ويبقى شعور الغربة، قد يكون ثقيلًا هنا مقارنة باماكن اخرى.
- كيف ؟
- ربما ستكتشف ذلك بنفسك اذا بقيت.
- والآن تفضل، انا اسكن هنا في هذا المعهد الذي اعمل فيه، تلك غرفتي.

- الله يساعذك استاذ محمد...
- هلو اديب، اشو اتأخرت ؟
 - اقدم لك ضيفنا الاخ فرات قريب استاذ علاء.
 - اهلا ابني، تفضل، اهلا وسهلا.
 - هذا استاذ محمد مدرس رياضيات في ثانوية البنين ويسكن معي.
 - اهلا وسهلا استاذ.
 - الغداء جاهز هيا تفضلوا.
 - بعد قيلولة الظهيرة، وعند العصر تقريبا توجهنا الى بيت استاذ علاء.

في بيت الأستاذ علاء وفي أجواء ذلك المساء، كان لحديث المعاناة حضور ما بين هموم الغربية وقسوة الحياة وبين الحنين إلى الوطن، الأهل والأصدقاء، الذكريات الجميلة والحزينة، وبين الشعور بالضيق في زمان يفتقد الحكمة. يبدو أننا نستمد قدرة المواجهة وتحمل الظروف القاسية من فيض رصيد المعاناة الذي نملكه خلال كل هذه السنوات الماضية أملاً في رؤية الوجه المشرق للحياة.

بعد حديث فرات أضاف ناجح وهو مدرس عربي، يسكن مع علاء ويعمل في ثانوية البنات:

همومنا تبدو أكبر حجماً من هموم الأجيال السابقة فانا شخصياً أرى أننا ندخل مرحلة تفوق أعمارنا بعد ان وجدنا أنفسنا أمام زخم من المسؤوليات والطموحات التي كثيراً ما تصطبغ بواقع الحياة المأساوية القاسية لمجتمع يعيش الحصار في الليل والنهار.

لم نكن نستطيع تحقيق تكافؤ بين ما نصبوا إليه وبين ما نحققه فكانت تجمعا نفس المعاناة تقريباً مع بعض المتفاوتات حسب الظروف المحيطة وقدرة معاشتها، فمثلاً في كربلاء كنا نواجه ظروفاً صعبة ما بين الانقطاع شبه المستمر للكهرباء وشحة الماء وقلة العمل وحالة الناس التي تتردى يوماً بعد يوم، ولا شك في أن الأمر يختلف نوعاً ما في أماكن أخرى والأسباب معروفة!

- إبراهيم: مدرس كيمياء، من ضمن سكان البيت: يا

جماعة كلنا عانينا خصوصا نحن المتخرجين في التسعينات، بالنسبة لي كانت اول صدمة حقيقية، بعد التخرج، او خلال سنة التخرج عام ١٩٩٤، فانتهم تعلمون ان الوظيفة ما عادت تجدي نفعا، والذي موظف منذ ثلاثين عاما، ويتقاضى مرتبا شهريا مقداره ٤٠٠٠ دينار، كان يتفق منها ١٥٠٠ دينار لاجور النقل والباقي تكفي مصروف يوم او يومين، بالتأكيد اننا جميعا مررنا بمثل هذا الشعور او في الاقل اغلبنا وهو ماذا نعمل وبعد ١٦ سنة دراسية، وبعد حصولك على الشهادة ماذا ستعمل كي تعيش، لا مجال للمثاليات، لا مجال لمقاومة الجوع، علفت شهادة تخرجي في البيت وبدأت ابحت عن عمل حتى انتهى بي الامر الى (جمبر) في الشورجة لبيع السكاكر وهناك التقيت كثيرا من الشباب من مهندسين ومدرسين ومحامين، و... و....

وبعد يوم وآخر اصبحت الامر طبيعيا، او ارغمنا الظروف على اعتباره طبيعيا، توقفت معي كل شيء، الطموح، الامل، كانت الايام عبارة عن عداد يحسب علينا المدة التي نعيشها، حتى حصل ذات يوم ان سمعنا بان الحكومة الليبية توفر عقود عمل في سفارتها في بغداد.

- اديب: انكر تلك الايام، كان مئات العراقيين هناك يوميا صباحا ومساء، كلنا يتأمل الحصول على عقد عمل في ليبيا كان هذا الكلام حوالي الشهر السابع عام ١٩٩٧.

- سلمان : (مدرس لغة انجليزية في ثانوية الناصر للبنات):
هناك لجنة عقود قبل هذه.

- اديب: نعم جاءت اللجنة عام ١٩٩٤ فلم تكن حينها مهنيين للسفر اما نتيجة الارتباط بالعسكرية او انتظار امر التسريح الذي يحتاج الى مدة قد تعادل مدة الخدمة، هذه المدة يقضيها المتسرح بين السيطرة والتجنيد، السيطرة تطالبه بكتاب التسريح، والتجنيد (خلكه طويل) ولا احد يبالي لمعانة الآخرين.

- علاء: حصل هذا الامر مع اخي حبيب الذي تسرح من العسكرية سنة ١٩٩٣ وكان المسكين يخشى السفر من محافظة الى اخرى خشية ان تمسكه السيطرة التي اما ان تعرضه للمهانة، او يأخذونه للسجن، وبقي على هذا الحال حتى تعرف سنة ١٩٩٥ على شخص يعرف ضابط التجنيد في المديرية وعندما ذهب معه الى هناك اتضح ان امر تسريحه صادر منذ سنة ١٩٩٤ وكان الجندي في التجنيد يعتمد علم مساعدته وكان يستسهل عبارة تعال بعد اسبوع او اسبوعين.

- ابراهيم: وهكذا امضينا حوالي اسبوع امام السفارة الليبية نأتي صباحا ومساء وبعد ان تبين لنا ان شيئا ما قد حصل منع اللجنة من فتح باب التعاقد، فقدنا الامل لكن الموظف الليبي خرج الينا واخبرنا انهم يريدون التعاقد ولا تزال لديهم العديد من العقود لكنهم سيضطرون للرجوع الى

عمان ويمكننا السفر الى هناك للحصول على العقود. منذ ذلك اليوم قررنا انا وصديقي (صادق) الذي كان يأتي يوميا من محافظة بابل الى بغداد حيث السفارة الليبية. قررنا ان نبدأ بمعاملة السفر على امل ان ننجزها قبل نهاية الشهر الثامن وربما نلحق باللجنة في عمان ونحصل على عقد عمل، ثم افترقنا على ان نتصل ببعض عبر الهاتف ليعرف كل منا ما وصلت اليه امور الآخر. كان التاريخ حيث بدأت معاملة السفر وتعثرت كثيرا في ١٩٩٧/٨/٣ مشوار الحصول على موافقة السفر من التجنيد طلبوا مني وثيقة التخرج على ان تتضمن ما يفيد انني لم احصل من الكلية على وثيقة لغرض التعيين او الدراسات العليا، وحين قصدت الكلية لهذا الغرض رفض موظف التسجيل ذلك لان الوزارة منعته من اعطاء مثل هذه الوثائق، حاولت كثيرا معه لكنه رفض، خرجت وانا افكر بالطريقة التي سأحصل بها على هذه الوثيقة وبعد اسبوعين اهتديت الى شخص يمكن ان يؤثر على الموظف وذهب معي اليه، وبعد المحاولات تمت العملية مقابل ٥٠٠٠ دينار، وفي التجنيد بقيت المعاملة لا ادري مصيرها، كلما سألت جندي الاستعلامات قال: بعد ما صار شي تعال باجر، وبينما انا مشغول ابال بهذا الموضوع كنت في المقهى المقابل لتجنيد الكاظمية اشرب الشاي بدا لي ان شخصا ما كان يعلم بتردي المسافر على التجنيد، فراح يسألني عن نوع

فأخبرته انها معاملة سفر، عرض عليّ أنجازها مقابل
(٥٠٠٠٠) ألف دينار، انتابني شعور بعدم الارتياح لهذا
الشخص فرفضت، واتضح فيما بعد انه ينسق بين التجنيد
وبين المراجعين لاتمام اجراءاتهم مقابل استعادة الطرفين.
لما شكوت لصديقي (ابو محمد) عن كثرة المراجعات
للتجنيد والتي لم تجد ذفعا اخبرني ان ابن خالته عقيد مهندس
وانه سيتصل به ليطلب منه مساعدتي في انجاز المعاملة
وواعدني ان يتصل بي ليلة ذلك اليوم وفعلا اتصل بي ليلا
ليخبرني انه اتصل بقريبه واخذ منه موعدا يأتي به الي
التجنيد ليقابل المدير ويطلب منه انجاز معاملتي وفعلا
حدث ذلك صبيحة اليوم التالي الساعة العاشرة صباحا، وفي
مكتب المدير اتضح لي ان معاملتي يجب ان تأخذ طريقها
الى امرية اللجان الطبية بعد تحويلها الى مديرية التجنيد
العامة وان هذا الامر لا بد ان يتم عن طريق البريد (السري
والشخصي) كما وصفه الضابط، وهكذا تخاطب كل جهة
الآخرى لحين وصول كتاب يؤيد صحة صدور قرار
الاعفاء من الخدمة العسكرية الذي صدر من امرية اللجان
الطبية، كان وجود العقيد المهندس قد سهل لي اشياء كثيرة
فقد صرت اتمكن من الدخول الى التجنيد لمعرفة
التطورات، وهذا طبعا مع استمرار اعطاء الجنود في
البوابة والمسؤول عن معاملتي كل مرة ما بين (٥٠٠) الى
ألف دينار، في الشهر التاسع اتصل بي صادق ليخبرني انه

أتم معاملة سفره، وبعد أن علم بما أنا عليه، وحيث أننا قد اتفقنا على السفر سوياً، فقد رأيت أن أطلب منه أن يسافر عسى ولعل يحصل على عقد عمل في الأردن، وتم الاتفاق بيننا على اللقاء في الأردن، وهكذا ودعت صديقي عصر أحد الأيام في الصالحية وكان هناك الكثير من المسافرين وأهلهم حاضرين وعندما أزلت ساعة السفر بدأ الأخوة والأخوات بالبكاء حتى كاد قلبي يفر من مكانه، كانت لحظات مؤلمة ومثقلة بالعديد من الهموم.

ومرّت الأيام وأصبحت في أواخر الشهر العاشر وأنا ما زال أنتظر موافقة السفر، عندما دخلت على الضابط آخر مرة حيث يوقع لي الموافقة أحسست فعلاً أن الأشهر الثلاثة التي مرت وأرهقتني جداً لم تكن شيئاً حين قال لي الضابط وأنا استعجله (علّوش مستعجل كلها أيام واتسافر أويلي علينا احنا اللي ما نكدر نطلع).

انقطعت أخبار صادق عني فلم أجد أعرف عنه شيئاً حتى أخبرتني والدتي أن أحد أخوة صادق قد اتصل بي وقالوا أنهم سيعاودون الاتصال ليلاً، وفي الثانية عشرة ليلاً رن جرس الهاتف ليخبرني أحد أخوة صادق أنه بعث لهم برسالة يخبرهم فيها بحالته السيئة وحالة الأحباط التي تتناوبه لعدم توافر عمل وأنه لم يحصل على عقد من اللجنة الليبية في عمان وأخبرهم أنه ربما سيعود إذا استقر وضعه على ما هو عليه، كان أهله قلقين جداً عليه وكانوا قد حرصوا

على عدم اطلاع ابويهم على فدوى الرسالة لما تضمنتها من كلمات فاسية مبكية قد لا يتحملها قلب الوالدين وربما كانت سبب المتاعب لهما، وطلبوا مني ان التقي صادق في الاردن، وواعدتهم ان ابذل ما يوسعي، اخذت منهم العنوان الذي بسعته لهم بالرسالة، في يوم ١٩٩٧/١١/٤ حذرت تذكرة السفر عبر شركة الظلال في منطقة العلاوي وفي يوم الجمعة ١٩٩٧/١١/٦ الساعة السادسة مساء كان موعد انطلاق الباص باتجاه الاردن، كانت اجواء بغداد مضطربة مشحونة بالأزمات، القيادة تصدر على تجويع الناس لكي يسمع العالم في الخارج عن بطولات القائد العربي الملهم الذي سيحقق للعرب احلامهم بازالة دولة اسرائيل، ولو على حساب موت الأبرياء وجوعهم في عراق الاحزان و الموت البطيء، الناس يتسارعون الى محطات الوقود لان ضربة امريكية كانت على وشك، الاهالي ينخرون الماء والنفط والقوت، كان والدي وبعض الاصدقاء يرافقونني الى الموقف وقد استعدت من تجربة سفر صادق فلم اوافق على استصحاب والدي معي واكتفيت بوداعها في البيت بعد ان ملأت نموعنا العيون وفاضت على الوجعات، قبلت يدي امي وغادرت البيت يملكني احساس بانني قد اغيب عن اهلي كثيرا وفي اللحظات الاخيرة عندما طلب الى المسافرين التهيؤ لصعود الحافلة، كان ابي معي حتى باب السيارة

وقبل ان اهتم بالصعود خضنني وترقرقت في عينيه بعض
الدموع، حنوت الي يديه اقبلها وابسمت له متفائلا بالغد،
وما ان بدأت عيني تبصر حركة السيارة عبر شوارع بغداد
تملكني احساس امتزجت فيه الفرحه واللوعة، كانت بالنسبة
لي فرحة كبرى ان اغادر تلك الظروف الصعبة واهرب من
ذلك الافق الضيق المغلق، وكانت لوعتي نابعة من الاتجاه
صوب الاغتراب الذي قد يشد الناس بعيدا عن بلادهم.
دخلنا الروشد في الاردن وهناك كانت بداية طريق الغربه،
من عمليات التفتيش في الحدود الى التساؤل عن سبب السفر
وكم من الوقت ستبقى في الاردن وكأنهم كانوا مكرهين
على استقبال العراقيين على الرغم من الخير الذي عاشته
الاردن بسبب ظروف العراق السيئة، بعد ان وصلنا الى
عمان بحثت عن صادق حسب العنوان الذي معي، قصدت
الساحة الهاشمية وهناك سألت حتى وصلت البيت الذي
يسكنه وفي البيت لم اجد صادق، اخبرني احد العراقيين
الذي كان يسكن معه في نفس الغرفة بانه سافر الى محافظة
السلط بعد ان حصل على عمل في إحدى مزارع الزيتون،
اعطاني عنوانه الجديد الذي لم يكن أكثر من اسم المزرعة
ورقم الهاتف، وخلال الايام الثلاثة التي بقيتها في الاردن
حاولت الاتصال به دون جدوى ولما فقدت وسيلة الالتقاء به
اتصلت باهلي واخبرت والدي بما حصل لينقل ذلك الى اهل
صادق، ثم حجزت تذكرتي وانطلق بنا الياص الساعه

- العاشرة ليلاً من عمان باتجاه ميناء العقبة.
- علاء: هذه أول تجربة نمر بها نحن العراقيين ، سابقاً كان الناس يسافرون للسيادة، واليوم نبحث عن لقمة العيش هنا وهناك.
- من كان يدري ان العراقي سيحتاج الى العمل في الاردن او الوصول الى ليبيا التي تبعد آلاف الاميال.
- سلمان: احد الليبيين قال لي ذات يوم:-
- جاء الى ليبيا اناس من مختلف الجنسيات، ولم نكن نتوقع ان نراكم هنا، كنا نتمنى رؤية العراقيين على كثرة ما كنا نسمع عنهم.
- علاء: الحق يقال انهم هنا تعاونوا معنا كثيراً، فانا مثلاً وقعت عقدي مع المعهد استناداً الى وثيقة تؤيد حصولي على الماجستير بعد ان تعهدت باحضار رسائلي التي لم استطع اخراجها ذلك الوقت وكان ذلك عام ١٩٩٤ لان الجامعة كانت ترفض تزويد حملة الشهادات برسائلكم، وان شاء الله سأحاول من خلال بعض الاصدقاء الذين اعرفهم ان نحصل على عقد عمل لغرات ولو ان الوقت متأخر.
- انيب: حتى لو لم يحصل ذلك فيمكنه ان يعمل في اي تشاركية للحاسيات واللغات فهو جيد ذلك.
- علاء: يا اخي انت تعرف تعامل الليبيين خصوصاً بالقبوس.

رقدالين منطقة ريفية صغيرة تبعد عن مدينة زوارة (٧) كم تقريبا وعن طرابلس العاصمة حوالي (١٠٠) كم، أكثر طرقاتها رملية عدا بعض الرئيسية المعبدة، تعرف أماكنها بأسماء القبائل فهناك بيت العباسي وبيت الموسي وبيت حرب وبيت الأسود وغيرهم وفي كل تجمع تتجاور وتتقارب بيوت القبيلة الواحدة ولا يوجد بينهم غريباء، لذا يصعب على العزّاب مثلنا ان يجدوا بيتا للايجار لأنهم يفضلون تاجير بيوتهم للعوائل، والبيوت عادة من دور واحد وأحيانا من دورين، عمارتها بسيطة وجميلة في بعض البيوت، وعادية جدا في أغلبها، اما في وسط المدينة حيث تتوفر الخدمات الضرورية مثل المستوصف ومدارس الأولاد والبنات وهناك معهد عالي لاعداد المدرسين ، ومعهد صناعي للبنين وآخر للبنات وقد تعرفت على عراقيين يعملون هناك، قرب موقف السيارات الخاص بالمدينة هناك جامع كبير، ويوجد مكتب بريد بدا لي متواضعا اذ ليس فيه صناديق بريدية والرسائل يعرضونها على الطاولة عدا المسجلة منها او البرقيات اذ يكتبون اسم المرسل اليه على ورقة يعلقونها على نافذة شبّاك البريد، ولا تسلم الرسالة المسجلة او البرقية الا لصاحبها اما الرسائل العادية الاخرى فيمكن لأي شخص البحث فيها وعادة لا احد يتدخل او يتطفل على رسائل الآخرين، عدا بعض

البعثيين المعارين من قبل الحكومة اذ كان واجبهم يملئ
عليهم معرفة علاقات كل شخص، من يرأسه.. ولئن
يكتب..، وغيرها من هذه الحركات. وتوجد خدمات
الهاتف في البريد وهي الأفضل غير ان الموظف لا يوسع
بأله مع المكالمات البعيدة مثل العراق، يحاول مرة او
مرتين او ثلاثة ثم يخبرنا بصعوبة الحصول على الخط مما
يضطرنا الى الاتصال من القساريات الخاصة وهي
مكاتب خاصة للاتصالات الهاتفية والكلفة فيها اكثر من
كلفة الاتصال بالبريد.

توجد في رقدالين وباتجاه السير نحو زوارة محطة للوقود
وفي الاتجاه المعاكس أي نحو زلطن وهو الطريق المؤدي
الى تونس، يوجد مصنع للأحذية ومحطة لتحلية مياه
الشرب والناس هناك يأخذون (البذونات) حاويات
بلاستيكية لتعبئتها او يسجلون على سيارة ماء ويدفعون
اجور النقل ويأخذونها الى بيوتهم حيث يوجد (ماجن)
خزان في كل بيت وهو عبارة عن خزان يبنى تحت الارض
وتغطي جدرانه بالاسمنت ويعمل له باب حديدي صغير
يفتح ويغلق عند الاستعمال، البعض من الاهالي يصلون
سطح المنزل بالماجن بانبوب بلاستيكي يسمح بمرور ماء
المطر الى الماجن اوقات الشتاء بعد ان ينظفوا سطح
المنزل قبيل الشتاء، اما الاسالة فانها تضح ماءا مالحا في
سبكات الى البساتين وتوجد في مناطق

ليس فيها اسالة، البعض يحفر ابارا في مناطقهم او حتى في البيوت وبواسطة (المصاص) المضخة، يتم سحب ماء البئر الحلو وتغذية الانابيب في البيت ، الحياة بسيطة وغير معقدة ابتداء من مظهر المدينة وشكل المنازل حتى الدخول اليها ، البيوت نظيفة دائما ، المرأة اللبينة تهتم بنظافة بيتها ، واغلب النساء او الفتيات يخرجن صباحا لكنس مقدمة البيت ويستعملون عتق التمر اليابس في الكنس لان الارض رملية ، وفي بداية مدخل كل بيت هناك (المربوعة) مكان لاستقبال الضيوف وهي غرفة مساحتها عادة اكبر قياسا لمساحة أي غرفة في البيت ، تفرش المربوعة بالسجاد ثم فراش سميك مرتفع عن الارض يملأ الغرفة كأثاث يجلس عليه الضيوف ، وقد ساعدت بيئتهم النظيفة على منح الجو جمالا وقبولا في الصيف والنشطاء كما اخبرني علاء، اذ قليلا ما يستعملون المراوح في الصيف اما في الشتاء فانهم يعمدون الى (الكانون) وهو اناء حديدي يضعون فيه الفحم ويوقدونه وبعد ان يصبح جمرأ يدخلونه الى الغرف. الزراعة هي المورد الاساسي تقريبا حسب ما علمت وهناك مساحات واسعة من الاراضي يسمونها (حوازا) والملف للنظر انه لا توجد حدود تفصل ارض عن اخرى ، كلها مشتركة ويراها الغريب متداخلة تبدو كأرض واحدة غير ان الاهالي يعرف كل واحد حدود ارضه بالاضافة الى كونها مسجلة في اوراق الملكية، يزرعون اللوز والزيتون

والشعير وغيرها حسب المواسم وتتعاون العائلة فيما بينها في الزراعة والصيد، كما أن الرعي وتربية المواشي من الأمور المهمة، وحيث أن عملية الرعي تحتاج إلى راع يتقن عمله ويصرف وقته في رعي الغنم مثلاً والخروج بها إلى الصحراء والاعتناء بها لذا فاعظم الذين يمتثلون هذه المهنة هم من تشاد أو النيجر وبرواتب شهرية، بالإضافة إلى وجود سوق خاص لببيع المواشي أسبوعياً كل يوم أربعاء صباحاً في منطقة الجميل.

بالإضافة إلى وجود المحلات في المدينة فهناك السوق الشعبي الأرضي وهو سوق متنقل من مكان إلى آخر، ينقل الباعة بضاعتهم في سياراتهم ويعرضونها داخل مسقفات من القماش أو أحياناً على الأرض مباشرة أو على طاولة، يلقي هذا السوق أقبالاً من الناس لتتنوع فيه هناك الملابس المختلفة والأحذية والكماليات الأخرى واللوازم المنزلية والكهربائية وسوق ملحق للخضار والفاكهة والحبوب، يقام هذا السوق في رقبدين يومي الاثنين والخميس عصراً ويومي الثلاثاء والجمعة صباحاً، وبقيّة الأيام في زوارة حيث السوق أكبر والأقبال أكثر يومي السبت والأربعاء عصراً والأحد والخميس صباحاً، وأخيراً في الجميل يومي الثلاثاء والجمعة عصراً، ويومي الأربعاء والسبت صباحاً ويأتي سوق الجميل في المرتبة الثانية بعد سوق زوارة من حيث تنوع البضائع وكثرة الباعة والمشتريين، و

يوجد في كل منطقة سوق محلي حكومي مدعوم ، لكنه لا يوفر كل الاحتياجات وهذا يعتمد على ادارة المشتريات والبضاعة المستوردة .

هذا فيما يخص المكان الذي اعيش فيه حاليا، اما العمل فقد بدأت في مكتب للحاسبات يعود لشخص يعرفه علاء يعمل معه في المعهد ولازلت لا اعرف الكثير عن تعامل اللبيين ، لم استطع الحصول على عقد عمل بسبب الوقت المتأخر كن احدهم واعد علاء خيرا في مطلع العام القادم.

كانت هذه رسالتي الاولى الى والدتي فمنذ وصولي الى ليبيا لم اكتب لهم شيئا على الرغم من انني اتصلت بهم هاتفيا وطمأنتهم على احوالي وطمخوا انني اسكن مع علاء وانني عرفت على بعض الاخوة الطيبين.

اديب: ان شاء الله شيئا فشيئا تتحسن امورك اكثر ومن حسن حظك أنك وجدت من يستقبلك، لربما لاتعطي لذلك اهمية في حين ان موضوع السكن ووجود شخص يقف الى جانبك اول الامر شيء في غاية الاهمية لأنني شخصا عانيت من ذلك كثيرا، فحين وصلت الى ليبيا لم اكن اعرف فيها احدا غير (ابو قيس) صديق والدي الذي اخبره بأنني في الطريق اليه، حاولت ان لا اثقل عليه اول الامر فسعيت هنا وهناك على امل الحصول على عقد عمل ولكن وصولي في اواخر شهر كانون الاول حيث اغلقت مكاتب العقود ابوابها، جعل الفرصة تتحسر امامي واذا بقيت على هذه

الحال سأفقد ما معي من مال وسيتأزم الموقف كثيرا، لأن السكن بمقابل والأكل بمقابل، والتحركات بمقابل، وفرص الحصول على عقد عمل تتضاءل، وما معي من مال ربما لا يكفي لشهر على هذه الحال، عندها ركبت السيارة متوجها إلى مدينة الزاوية، بعد أن أمضيت أسبوعاً مع اثنين من المدرسين أحدهما عراقي والآخر سوري يعملون في طرابلس عرفني عليهم شخص يدعى رائد كنت قد حملت له رسالة من والدته وكان يسكن في مدرسة في (أبو سليم) في طرابلس إذ سكنت معه أسبوعاً تقريباً، لما وصلت إلى الزاوية سألت عن منطقة (أبو عيسى) حيث يعمل أبو قيس في معهد المعلمين هناك، ولما وصلت المعهد لم أجد أباً قيس وتلني أحد اللذين على البيت الذي يسكنه وهناك استقبلني استاذ مظهر العراقي الذي يعمل في جامعة السابغ من ابريل في الزاوية، رحب بي كثيراً، وبينما نحن نبتال الحديث دخل أبو قيس، شعرت أنني وجدت شيئاً افتقده، نهضت مسرعا إليه لتحيته بأدربي بالقول (هاي اشجابتك، اتي بعثت برقية إلى والدك أخبرته ان لا يدعك تأتي، ترة عمل ماكو هنا) . احسست باحباط شديد وهو يستقبلني بهذه الكلمات.

- قرأت: مع الأسف

- اديب: لكن الناس الطيبة هوايه، خلى اكمل بقوة السائلة

- قرأت: تفضل.

- ادیب: كان ذلك الكلام امام استاذ مظفر، وما ان دخل ابو قيس لتغيير ملابسه حتى اخذني استاذ مظفر الى غرفته وقال لي (اسمع ادیب، لا تكول هذا عني وصديق ابويه، مالك كل علاقة بكلامه أي شيء تحتاج اني موجود وان شاء الله ستجد عملا تراه كلنا مرينا بظروف صعبة) والآن اخبرني هل تحتاج الى المال؟، وراح يلح علي كثيرا، حتى اخبرته ان معي ١٠٠ دولار لم اصرفها بعد.

- قرأت: شوف المواقف، سبحانه الله.

- ادیب: وقبل موعد الغداء وصل استاذ حسن مدرس الفيزياء في معهد المعلمين مع ابي قيس، واتضح انه المستاجر الاول للبيت، رحب بي الرجل قائلا:

اعتبر البيت بيتك تصرف كما تشاء.

وفي عصر ذلك اليوم وقبل الغروب كنا نجلس في حديقة البيت قال ابو قيس ان من حق الضيف ثلاثة ايام واذا زاد عن ذلك فهو لاء هم اصحاب البيت الرأي رأيهم.

طلق حسن ومظفر واستاذ نبيل على ذلك قائلين: يمعود البيت بيته الى ان يشوف دريه.

احسست منذ ذلك الوقت ان وجودي غير مرغوب فيه ولكن ليس بيدي حيلة اذا سكنت في فندق فسانفق ما معي وقد لا احصل على عمل وكان هذا الهاجس يؤرقني ليل نهار.

خلال الاسبوعين التي امضيتهما مع الجماعة علمت انه

توجد بيوت للشباب في صبراتة المدينة الأثرية القريبة من
أبي عيسى حوالي (٢٠) كم، قصبتها ذات يوم وعلمت أن
أجرة الليلة الواحدة (٥) دينار وإذا اشتركت كعضو فيها
فستكون أجرة الليلة الواحدة (٣) دينار ، ولكي اشترك علي
أن ادفع (١٠) دينار للحصول على بطاقة العضوية التي
تعطيني الحق في المبيت في بيوت الشباب إذا كانت في أي
منطقة في ليبيا وفعلاً حصلت على العضوية وفي اليوم
التالي وأنا أهم بمغادرة بيت حسن متحركاً بخطى خفيفة
غير مسموعة كعادتي في المشي متوجها صوب المربوعة
التي يجلسون فيها، لم يشعروا إلا بي وأقفا ألمح الصور التي
كان حسن وأبو قيس يتفرجان عليها، حاول حسن تدارك
الموقف بالتحدث إلى أبي قيس عن أسفه لتلك المرأة
المصابة بسرطان الثدي، أخذت حقيبتى وخرجت متوجها
إلى صبراتة، سكنت في بيوت الشباب وبعد ثلاثة ليالٍ،
فاجئني الموظف الجزائري الذي يعمل هناك ، أنه يتحتم
على مغادرة بيوت الشباب هذه الليلة ويسكنني العودة
بعدها،/ اذ أن المسموح به هو ثلاثة أيام فقط واليوم الرابع
يكون خارج البيوت، وهكذا لم أجدي بدا من ترك البيوت
والعودة إلى بيت حسن ... ورب ضارة نافعة.

عندما عدت الى بيت حسن ، فاجئني الأستاذ نبيل انه التقى عرافيا يعمل في كلية الآداب في زوارة وخلال الحديث بينهما علم الأستاذ نبيل ان ذلك الرجل يسكن لوحده في (ابو عيسى) ، يقول الأستاذ نبيل انه تذكرني في ذلك الوقت وحكي قصتي لذلك الأستاذ الذي اعطاه العنوان ودعاني للسكن معه ، لم اصدق ما قال الأستاذ نبيل ، كان شهر رمضان قد بدأ منذ ايام . بقيت حتى العصر ثم قصدت بيت الأستاذ رافد ، طرقت الباب واذا بشاب عمره لا يتجاوز الخامسة والثلاثين .

- حضر لك أستاذ رافد...؟
- نعم بفضل.
- انا اديب الذي حكي لك عني أستاذ نبيل.
- اهلا وسهلا اخي بفضل.
- كان منزله عبارة عن غرفة ومطبخ وحمام.
- دخلت الغرفة وجلست..
- مسألك الله بالخير.
- الله بالخير.
- أين امتعتك...؟
- في بيت أستاذ حسن.
- اليوم ان شاء الله سنجليها لتسكن معي.
- هل اخبرك أستاذ نبيل انني بدون عمل لحد الان؟
- اخبرني كل شيء (ولايهمك اخوك رافد موجود، هل

لديك بطانية وفرش).

- كلا.

- سأطلب ذلك من صاحب البيت.

لم اكن اصدق ما يحدث معي وقتها، لكنني كنت مدركا ان الله رؤوف رحيم.

- قرأت: ونعم بالله.

- انيب: قال لي الاستاذ رافد انه مدعو للافطار ذلك اليوم واني سأرافقه وانه سيقمنني على انني ابن عمه، كانت تلك الليلة هي الاولى التي انام فيها نوما حقيقيا حتى الصباح، كان شعور الضياع المتعدد الجوانب شعورا رهيبا ملائي فزعا ذلك الوقت فبالاضافة الى الغربة كان هناك ضياع داخل الغربة، لا عمل، لا سكن، لا نقود، حتى بعث الله لي استاذ رافد وقبل ان ننام، قال لي:- بالنسبة للأكل لا تشيل هم، لان ابو البيت الحاج امبيته يعطيني السكر والرز والزيت، اما المخضر فلا يكلف شيئا، اما بالنسبة للزيجار فاعلم انك ضيفي مهما طاللت المدة، وحين تحصل على عمل سأطلب منك ان تشترك في الأيجار.

احسست ان ثقلا كبيرا رفعته عن كاهلي كلمات رافد وثقت به جانبا.

مرت على أيام قاسية التقيت فيها اشكالا من البشر فقبل ان اتقي رافد، وبينما انا انتقل من مدينة الى اخرى بحثا عن عمل، قصدت مدينة زوارة، اذ احتفظ باسم شخص اعرف

ابن عمه في بغداد، ولما وصلت الى المعهد المتوسط في زوارة حيث يعمل، علمت انه سافر الى ألمانيا. ارشدني الليبي الذي سألته، الى بيت حيدر صديقه، وقال انه سيخبرني بما احتاجه، فصدت بيت حيدر الذي يسكن مع عائلته وقبل ان اذهب اليه كنت قد مررت على امانة التعليم في زوارة، وقبلوا ان يستلموا ملفي رغم انتهاء وقت التعاقد ذلك لانهم كانوا قد تعاقدوا مع ٦٠ شخصا ولم يباشروا العمل مما جعلهم في حاجة لتعويض هذا النقص لذا فتحتوا باب التعاقد، وكانت (نجاح) الموظفة الليبية التي تعمل في مكتب العقود هي التي استلمت مني ملفي ووعدتني خيرا . رحب بي حيدر لما علم انني اقصد زهير، اذ يبدو ان علاقة صداقة قوية جمعتهم، لما سألت حيدر عن امكانية التعيين واخبرته بما حصل معي في الامانة، طمأنتني وقال انهم بحاجة الى (٦٠) شخصا يحلون محل المتعاقدين الذين لم يلتحقوا بالعمل وبقيت اماكنهم شاغرة وانها مسألة وقت وسيصدر امر التعيين، دفعني تشجيعه الى السؤال عن سكن قريب لأتمكن من خلاله مراجعة قرار التعيين، اخذني بسيارته الى مجموعة من العراقيين قال انهم اصدقاءه، يسكنون في بيت قريب منه، وبعد ان عرفني عليهم طلب منهم ان يستقبلوني للسكن معهم، اعترض احدهم قائلاً: لدينا حمام واحد ونحن عدد كبير كما ترى يا حيدر مما يجعلنا نتأخر صباحاً في الذهاب الى العمل.

فجأة وجئت حيدر يصرخ بهم:
- مع الأسف أنتم أصدقاء والله إذا لم أجد له سكناً فربما أسكنه
معي في البيت في الطابق الثاني رغم وجود عائلتي معي.
خرجنا وأنا أحاول أن أهدئ من روعه لأنني اعتبرت
نفسي سبباً في هذا الخلاف لكنه قال: انهم لا يستحقون طالما
أنني قصدتهم في أمر يقدرون عليه، وسأجد لك سكناً لأنهم
ذلك.

شكرته وضمنت فيه ذلك الموقف وأوضحت له أنني أسكن مع
صديق في الزاوية حالياً وإلى أن يحصل أمر التعيين يسهّلها
الله.

استمر سكني مع رافد حوالي شهرين ونصف، عملت
خالتيها مدرسا لعدد من الأولاد وكنت أتابع تطورات
قرار التعيين، انتهى شهر رمضان، وجاء العيد ومضت
أيامه وأنا لا أسمع غير تعال بعد أسبوع، بعد أسبوعين،
قريباً سيصدر قرار التعيين ومرت الأيام وكنت أمر من
إحباط إلى آخر واليأس بدأ يدب إلى نفسي حتى أنني قررت
العودة إلى العراق وبالتأكيد كان قراراً فاشلاً لأنني لا أملك
حتى أجرة العودة بالإضافة إلى أنني استلقت المبلغ الذي
وصلت به إلى ليبيا ووضع أهلي لا يساعد على تحمل كل
هذه الإخفاقات كان رافد يشجّعني بين الحين والآخر كي
لا تسيطر عليّ مثل هذه الأفكار، وذات يوم أخبرني جعفر
ابن عم رافد وهو مدرس كيمياء في ثانوية أبي عيسى

للبنين، انه سمع عن قرارات تعيين صدرت في زوارة، ذهبت مكلها تارة ومحبطا اخرى وما ان وصلت الى مكتب العقود حتى وجدت (فؤاد الغالي) هناك ولما سألته عن القرار تقاجأت بوجود اسمي في قائمة التعيين، لم امالك نفسي وانا انزل سلم المبنى وكانت روحي تسبقني الى البريد كي ابعث برقية الى والدي اخبره بحصولي على عقد عمل مغترب، عنت الى الزاوية على ان اعود الى زوارة في اليوم التالي حيث يتم تنسيبي الى مكان العمل، فرح كل من رافد و ابن عمه جعفر فرحا كبيرا ولما كان رافد حديث عهد في ليبيا لذا لم يكن معه من المال ما يسلفني اياه ودون سابق طلب اخبرني جعفر انه سيسلفني (١٠٠) دولار لأنني سأحتاج الى مصاريف لاجراءات التعيين ما بين عقود العمل والشهادة الصحية ورسوم النقابة وما الى ذلك، وفي الليل زرت جعفر في بيته حيث يسكن وعائلته، وهناك اعطاني المبلغ وقال انه لن يطالبني به الا بعد ان اسلم رواتبي، وفي زوارة نسبوني على رقدايين في هذا المعهد واعطوني هذه الغرفة.

- قرأت: وماذا عن رافد.

- اديب: اصبحت امضي الخمس والجمعة عنده اسبوعيا، ولازلت لحد الآن، حتى انه ما عاد يقبل ان يسكن معه احد، فائلا: هذا مكانك وهذا الفراش سيدي تمام عليه كلما جئت.

- قرأت: ربما يستغرب الانسان لذلك ولكن الله يهدي من

يشاء:

- اديب: حتى انا استغربت بعدما صدمت بصديق والذي
وسألت رافد ذات يوم عن الدافع الذي جعله يقوم بما قام به
معي، اجاب:-

لا اعرف غير انني حين رأيتك تملكني احساس او ربما هو
شيء من رحمة الله تخبرني بوجوب الوقوف معك فقد
ارتحت لك جدا من اول لقاء وبعدين يا اخي اني ما سويت
غير الواجب ، واحنا هنا في الغربة لازم واحد يساعد
الآخر.

- قرأت: صاحبك هذا انسان رائع.

هكذا تمر بنا الايام، ليل يلتمس اذباله منكمشا امام الشمس
ونهار يمل مكوته الطويل فيرحل لياتينا يوم اخر باحداث
جديدة او ربما متكررة. هكذا مرت الاعوام، كنا في مطلع
كل عام نتقابل مبتسمين علّه يكون نافذة أمل جديدة نطل
منها الى المستقبل وفي نفس لحظات الابتسامة كانت هناك
ثمعة في عيون كل عراقي مغترب وهو يرى حال البلاد
البائس، ربما قدر لنا ان نعيش معاناة الجسد المغترب
والروح المثلقة لعناق الحرية وفكاك البلاد من قيودها، لا
زلت اذكر ايام رحلتي الاولى من العراق منذ سنوات
طويلة، اذ لا زلت عالقاً هناك روحاً وفكراً وفؤاداً وانا
اعيش عامي العشرين خارج البلاد.

كان العراقي القادم من العراق قبل ايام او اسابيع يضم دفء
الوطن في صدره، وعينه تعكس بريق شمس العراق
وجسمه يبعث رائحة تراب ارض الرافدين فيثير كل ذلك
الذكريات كما حصل مع الدكتور فيصل الطيب في
مستوصف رقدالين عندما تعرف الى فرات الذي زاره
بصحبة اديب واستاذ محمد في بيته.

- د. فيصل: كيف تركت الناس في العراق، قانت تعلم
ان اهلنا هناك لا يستطيعون ان يكتبوا لنا كل شيء على
حقيقته !!! .

- فرات: اتذكر مقولة يريدها دوما الحاج ابو حيدر صديق
والذي عندما كنت اسأله عن احوال الدنيا فيقول:-

اليوم احسن من باجر، هكذا هو حال الناس هناك، لقد
تغيرت أشياء كثيرة واصبح هم الناس وشغلهم الشاغل هو
ثمة العيش وكيفية الحصول عليها مهما كانت الوسيلة،
خلطوا السكر بالملح وباعوه، وخلطوا زيت الطعام
بالبطاطا المغلية و اضافوا الماء الى زيت المحركات
بطريقة شيطانية رهينة بحيث لا يمكنك ان تشك ابدا ان طبخة
الزيت قد فتحت سابقا، وملؤا علب السكائر بالورق المقوى
ووضعوا تلك العلب مع غيرها دون ان تشك في الامر الا
بعد ان تفتح العلبة وهكذا ظهرت طبقة جديدة اطلق الناس
عليها اسم تجار التسعينات، ا ولئك الذين اصبحوا اثرياء
بين يوم وليلة، ماذا اقول لك يا دكتور، الناس هناك تمشي
في الشوارع وكأنها منزوعة الروح والوجدان وآخرين
يقيمون حفلاتهم الباذخة، لم يعد في العراق مكان للطبقة
المتوسطة فأما ان تتركب الموجة ايا كانت والى اين تلقي بك
لتصبح ثريا بغض النظر عن الطرق المؤدية الى ذلك، واما
ان تكون من المعدمين، واكثر الذين حافظوا على انفسهم
بعيدا عن الطرق الملتوية والغش في العمل فقد خسروا
الكثير من اموالهم، لان التيار الجارف يحرق كل اخضر
وبمباركة الملوثة ايديهم من العاملين في الدولة، من اجل
سلب امكانيات العراق والعراقيين قدر الامكان .

كلنا على ابنائها في الخارج سواء كانوا لاجئين أو مهاجرين
في دول العالم وعلى ذكر ذلك، ذكر لي أحد الأصدقاء هذه
الطرفة:-

في أحد الجوامع وبعد الصلاة كان الشيخ يدعو: اللهم شافي
مرضانا، اللهم أوفي ديوننا، اللهم احفظ غائنا، اللهم ارجع
كل غريب إلى بلده. وهنا اعتراضه أحد الجالسين (مولانا
الله يخليك استر علينا، إذا رجعوا احنا منين ناكل).

- استاذ محمد: أياها، متى يستريح الإنسان في حياته،
عمر مضى كله تعب وشقاء، قديما كنا نفكر بالراحة بعد
التقاعد وإذا بنا نفكر بالبداية من جديد، ها أنا ذا أشارك على
الستين وقد حملتني هموم العائلة للمجيء إلى هنا بحثا عن
عمل بعد أن أخذت مكتبتني الكبيرة تنكمش يوما بعد يوم وأنا
أحمل كتبها إلى سوق السراي للبيع من أجل علاج لزوجتي
أو ثوب لابنتي أو مصاريف لدراسة ولدي، لم يكن رائب
التقاعد يعني شيئا لأن خزانة الدولة لا تسمح بالمزيد من
التقاع لذلك لم يكن نصيب المتقاعد سوى هذه التتف من
الدنانير وقد واعدنا القائد الرمز أنه سيعوضنا عندما نغير
إلى الجانب الآخر!!!، وهكذا وجدتني أبدا من جديد، والحمد
لله أنني التقيت مجموعة جيدة من الشباب، خفف وجودهم
الكثير مما يمكن أن يشغل رجلا كبيرا مثلي من السأم والقلق
والمرض والتعب النفسي في الغربة.

- د. فيصل: هل جئت عن طريق البر؟

- فرات: نعم.

- د. فيصل: وكيف كانت الرحلة.

- فرات: انطلقنا من ميناء (العقبة)، وقبل وصول العبارة الى (النويبع) ابلعوا كل العراقيين بعدم مغادرة العبارة، وعند الوصول جاء ضابط مصري وطلب منا تسليمه الجوازات ومرافقة الجنود وعدم التحرك بأي اتجاه اخر، نزلنا من العبارة وهناك كانت باصات تنتظرنا ومن باب الباص وحتى خروجنا من العبارة كانت الشرطة المصرية تمايل المكان، وجندي ينادي على الاسماء ثم سلم الجواز الى الضابط لكي يتحقق من هوية الشخص ومن ثم يطلب منه التوجه الى السيارة مباشرة واخيرا ركب معنا شرطي يحتجز جوازاتنا عنده وهكذا بقي الشرطي يرافقنا حتى الحدود المصرية الليبية.

- انيب: حدث نفس الامر معنا حتى ان الشرطي وقتها لم يسمح لنا بمغادرة الباص حين وصلنا الى مقر الشركة في القاهرة اذ طلبنا منه ان يدلنا على مطعم لكي نتناول فيه فطورنا لكنه امتنع اول الامر وبعد ان اقنعه احدنا بان جوازاتنا عنده واننا ما جئنا لنبقى في مصر ولا نريد البقاء فيها ما دامت الحكومة تعاملنا هكذا ونحن نمر باراضيتها مجرد مرور، اخيرا وافق الشرطي وسمح لنا بعد ان دلنا على مطعم قريب.

- فرات: بالنسبة لنا وافق الشرطي ان نزر الأهرام وننظر

في مصر بعض الوقت بينما يتم صيانة الباص في مقر الشركة، وقد استثمرنا الوقت وذهبنا الى زيارة (سيدي الحسين) وكنا سنذهب لزيارة مقام السيدة زينب لولا خشيتنا ان يدركنا الوقت.

- اديب: لما وصلنا الحدود الليبية المصرية، وزع الشرطي المصري جوازاتنا وختم مهمته بعبارة الاعتذار: اعذرونا يا اخوان انا رجل مأمور، ونتمنى لكم الوصول بالسلامة، وسامحونا على ما حصل.

- استاذ محمد: اول ما بدأ الناس بالمجيئ الى ليبيا، لم تكن مصر لتوافق على مرور العراقيين عبر اراضيها فكان الناس يضطرون للسفر الى السودان، ومن ثم الى ليبيا عبر الطريق البري الخطر، وقد سمعنا قصصا كثيرة عن المخاطر التي صاغت اخواننا العراقيين ما بين عطل السيارة وبين اللصوص ووحشة الطريق الغير مؤمن، وبدخل من الحكومة الليبية سمحت مصر للعراقيين بالمرور فقط عبر اراضيها ويختمون على الجواز بالمغادرة خلال (٧٢) ساعة مع الاجراءات الامنية المشددة في الوقت الذي كان في العراق حوالي ٦ ملايين مصري يتمتعون بمزايا عالية، اغلبهم بلا عمل وفي اخر السنة يحصلون الدولارات الى مصر، وكان المصري مفضلا على ابن البلد في أي شيء يخص الدولة.

- اديب: بعض المصريين لا ينكرون ذلك فعلى سبيل

المثال كنا انا ورافد نتمشى في منطقة ابي عيسى عصرا
وكنا نتكلم مع بعضنا بلهجتنا العراقية واذا بمصري على
الجانب الاخر يبدو انه كان يسمعنا، اقبل علينا مسلما ثم
سألنا: الاخوة عراقيين؟

نعم تفضل...

- (والله اكدر ناس، والله يا استاذ انا لا اعرفكم ولا انتوا
تعرفوني، لحسن كتابي نه من خير العراق، والله احنا
المصريين مقهورين على الحال اللي بتمروا فيها بس ان
شاء الله ربك يعطلها، وارجوكم لو عوزتوا ايها حاجة ما
تترددوش، انا اشتغل هنا في محل التجارة هناك اللي على
ناصية الشارع، وحياة العراق اذا احتجتوا حاجة تفضلوا
عندي، ده انا عشت حداش سنة من مصري في العراق في
بغداد، شفت ايام حلوة كثير وناس طيبة والعشرة ما تهونش
الا على اولاد الحرام).

- استاذ محمد: اكيد ان الامر لا يخلو.

- فرات: السابق المصري الذي اوصلنا بالباص حتى
الحدود الليبية نبهنا ونحن ننتظر جواراتنا عند النوبع قائلا:
شوفوا يا عراقيين، شايفين الواد والبنت اللي بيمشوا هناك،
دول اسرائيليين بيسرحوا في البلاد زي ما هم عاوزين وانتم
هنا ما يخلوكمش تنزلوا من الباص، عجب يا دنيا عجب.
- د. فيصل: اكثر المصريين شعب طيب والذي حصل
معكم كان تعليمات من الحكومة.

حتى ولو على المدى البعيد اما نحن فربما نشارككم المشورة والنصيحة، هذا ما نقدر عليه بعد هذا العمر الطويل.

- قرأت: هل امضيت كل هذه السنوات هنا في ليبيا.
- د. فيصل: كنت في اليمن والاردن ولي هنا ثمان سنوات..
- قرأت: الله يساعدك على هذه الغربة.
- د. فيصل:

مشيذاها خطي كتبت علينا

- ومن كتبت عليه خطي مشاها
- قرأت: الحمد لله على كل حال.

- استاذ محمد: ماذا ستقول حين تتعرف على استاذ حمزة الذي يعيش وحده منذ ثلاثين عاما بعد ان تنقل في بلاد عديدة حتى استقر به الحال مرغما في المدرسة الثانوية للبنات حيث يدرس اللغة العربية، وهناك عمله وسكنه.

- قرأت: معقولة ! اليس له عائلة، ولماذا مرغما ؟
- استاذ محمد: استاذ حمزة قصته طويلة وستعرفها فيما بعد.

- اديب: اخبرني الاستاذ طنعت المصري ان موافقة التعيين صدرت لذا ساذهب غدا الى زوارة بعد اكمال حصتي الثالثة فهل سترافقني.

- استاذ محمد: لا اعتقد ذلك لانني مشغول حتى الخامسة الخامسة.

- في زوارة، وعند الشارع الرئيسي:
- اديب.... اديب
 - اهلا فرات، كيف حالك، اليوم في زوارة؟
 - جئت لشراء بعض قطع الغيار وانت؟
 - متوجه الى امانة التعليم للحصول على نسخة من موافقة التعيين، هل ترافقني؟
 - لا بأس فقد اكملت عملي، ماذا عنيت بموافقة التعيين الم
 - تقل انك منذ العام الماضي وعندك اقامة؟
 - اديب: نعم ولكن تلك يتجدد كل عام، وان شاء الله عندما تحصل على عقد عمل ستعرف كل هذه الدوامه الروتينية، فكل عام لا بد من موافقة عمل جديدة تصدر من القوى العاملة في مبنى امانة التعليم وهو غير قرار التعيين الذي يصدر من (سرت) ولمرة واحدة عند التعيين، وبدون قرار التعيين لن يكون من حقك ان تدقاضي مرتبك ولا حصولك على الإقامة وغيرها وبدون موافقة التعيين السنوية لن تحصل على الإقامة السنوية مما لا يسمح لك بتحويل مرتباتك في المصرف وهي على هذا الوضع الروتيني اهن من تلك المرحلة التي مررنا بها السنة الماضية.
 - فرات: كنا نسمع عن تاخر الرواتب في ليبيا.
 - اديب: تصدور اننا العام الماضي بقينا لغاية الشهر السادس حتى صرفوا لنا المرتبات.
 - فرات: ومنين كنتم تصرفون.

- ادیب: کنا نأخذ سلفاً، هذا هو الروتين، أوراق في أوراق، عقود عمل وشهادة صحية وموافقات واختام وأحياناً ننتظر مدة شهر مثلاً لأجل توقيع أو ختم ولا يمكنك معرفة السبب وراء التأخير كما أنه لا أحد يقدّر أنك غريب وربما ليس معك ما تفقه، وأنت تعرف وضعنا العام فانا مثلاً استأفقت مبلغ السفر على أمل أن أعيد ما بذمتي بعد شهرين أو ثلاثة وإذا بالمدة تطول وينفذ ما معك من اساليب الاعتذار وإذا لم يقبل المقابل عذرك فهو محق لأن ظروف الناس في العراق صعبة، والسوق غير مستقرة وما إلى ذلك، حتى السلفة التي من حقنا الحصول عليها ما دمنّا بلا رواتب، فأنها تتأخر كثيراً حتى نحصل عليها.

- قرأت: سمعت من الكثيرين في الأردن عن مثل ذلك.

- ادیب: عموماً هنا لا يضيع حقك ما دمت تطالب به وتتابع حصولك عليه ولكن من المحتمل أن تفقد صبرك وأعصابك.

لقد استفدنا من وجود العراقيين قبلنا وخصوصاً أصحاب الخير والشهامة فموقف جعفر مثلاً كان نابعا عن مروءة بنفس هذه المراحل ولولا المبلغ الذي أعطاني إياه لما تمكنت من اكمال اجراءات التعيين وكذا الحال مع استاذ محمد فقد كان يستدين من صديقه الدكتور سامي.

- قرأت: وماذا عن باقي الاعمال؟

- ادیب: كن حريصاً على تصفية الأمور شهرياً والمطالبة

باتعابك.

- فرات: رمضان صاحب المكتب يعمل مع علاء في المعهد وهو رجل طيب، وعلاء يعرفه جيدا.

- اديب: في اول لقاء بيننا وعندما سالتني عن الليبيين قلت لك بانهم اناس طيبون، وعليك ان لا تنسى ابدا ان للغربة ضريبة وضريبة الغربة صعبة، وعندما يتعلق الامر بالفلوس فان اشياء كثيرة تتغير وطبق المثل القائل (اذا تريد صاحبك دوم حاسبه كل يوم).

- فرات: كلمتك صحيح حتى ان علاء اكد علي ذلك.

- اديب: دعني ادعوك للغداء، يوجد مطعم لبناي على الشارع يقدم اكلات جميلة ولو ان استاذ محمد سينتظر في المطعم، حوالي الساعة الواحدة والنصف ظهرا.

- فرات: هل تعرف استاذ محمد من مدة طويلة ام انك تعرفت عليه هنا في ليبيا؟

- اديب: معرفتي بالاستاذ محمد بدأت العام الماضي وتحديدًا في مثل هذه الاجواء فبينما انا استقل السيارة الى وزارة لإكمال الشهادة الصحية وكان قد مضى على وجودي في رقدالين اسبوعان تقريبا،

ركب الي جانبي ذلك الرجل الكبير السن بنظارته وشعره الابيض ووجه الذي يبدو عليه الارهاق والتعب ومشيته المترهلة، بدا لي من لهجته في السلام انه عراقي فاحببت ان احببه بالتحية العراقية بعد جلوسه فقلت له الله بالخير استاذ،

رد على التحية بعد ان نظر اليّ بإسماة يخالطها شيء من التعجب والاستفهام فقد اكون متطفلاً او انه يعرفني وما اسعفته اللحظة للتذكر ووسط هذه الحيرة سألته.

- استاذ انت تداوم هنا ؟

- استاذ محمد: نعم في ثانوية البنين، والبارحة فقط علمت بقرار التعيين، وجئت اليوم للمباشرة.

- اديب: انت مع المجموعة التي صدر قرار تعيينها مؤخرًا

- استاذ محمد: نعم

- اديب: انا ايضا ممن صدر قرار تعيينهم ولكنني علمت بالقرار منذ اسبوعين وقد عينوني في المعهد المتوسط.

- استاذ محمد: واين تسكن ؟

- في نفس المعهد فقد خصصوا لي غرفة بعد ان اعلمتهم انني لا اعرف احدا هنا فقد كنت في مدينة الزاوية ولما اخبروني بان الاستاذ جاسم مدرس الرياضيات، والاستاذ رائد مدرس اللغة الانكليزية، هما من العراق ويمكنني ان احصل على سكن مع احدهما او من خالتهما، وبعد ان علمت بعدم وجود مكان لي للسكن معهم اخبرت الإدارة بان يتدبروا لي الأمر لان الذهاب والاياب من وإلى الزاوية متعب ومكلف بالنسبة لي خصوصا وانا في بداية التعيين وحسب ما علمت انه ما زال الوقت امامي طويلا للحصول على الراتب واخيرا طلب المدير ان يهيئوا لي الغرفة الموجودة في الكرفان الخشبي لأنها فارغة، وانا الان

اسكنها.

- استاذ محمد: انا الان امر في نفس المشكلة فقد عينوني البارحة وقد كنت اسكن مؤقتا مع مجموعة من الشباب العراقيين في زوارة وفي الحقيقة انهم شباب جيدون فقد تعاطفوا معي ومع كبر سني حتى انهم رفضوا ان يأخذوا مني اجارا مقابل السكن وهذا ما يجعلني لا استطيع الاطالة عندهم اكثر مما ينبغي خصوصا بعد ان تعينت، وقد توسط لي احد الاساتذة في المعهد العالي عند احد اصدقائه وهو الأستاذ قاسم (ابو ملهم)، الذي يسكن في رقدالين في بيت كبير مع مجموعة من العراقيين وقد كنت عندهم قبل قليل وواعدني خيرا بعد ان يسأل الساكنين عن رأيهم.

- اديب: حضرتك من بغداد؟

- استاذ محمد: نعم، بيت العائلة الكبير في المنصور، ولدينا مجلس هناك اسمه مجلس الثلاثاء ان كنت تسمع به.

- اديب: في الحقيقة لم اسمع به رغم انني كنت اتردد على مجالس الشعرباف والخافاني والكاظمية ومندكي ابي حنيفة.

- استاذ محمد: انا ايضا من المترددين على هذه المجالس ولكن لا اظن انني رأيتك من قبل.

- اديب: ولا انا، على الرغم من ان زياراتي قليلة الى هذه المجالس، ومن خالها تعرفت على وجوه ثقافية كثيرة. ومن تلك المجالس الثقافية والاجواء الادبية تعمقت علاقتنا

منذ البداية بالاضافة الى ان اسلوبه في الحوار اسلوب جميل وبدا لي انه يعرف الكثير وله ثقافة غنية ارتاح لها ولاجوائها، وفي اخر اللقاء طلبت منه ان يعرفني باخر اخباره وان يزورني الى المعهد، وبعد اربعة ايام زارني الاستاذ محمد برفقة صديقه الدكتور سامي عصرا والذي كنت التقيه لأول مرة، وهو استاذ في المعهد العالي في رقدالين.

اخبرني الاستاذ محمد انه لم يحصل على السكن الذي واعد به استاذ قاسم، لان سكان البيت تناقلوا من وجود رجل كبير السن معهم، لم يُبدوا له ذلك الكلام صراحة لكنه احس بذلك من خلال التبريرات الغير مقنعة.

سألني الدكتور سامي ما اذا كنت امانع من السماح للاستاذ محمد بالسكن معي،

تذكرت من خلال الموقف الذي يمر به الاستاذ محمد ما مررت به انا مسبقا وقد وجدتني في موقع المتمكن من اسداء خدمة، كنت اتمنى لو اسداها لي احدهم وانا في نفس موقفه هذا، لذا لم اجد مجالا للاعتراض بعد ان علمت ان الاستاذ محمد كان في ضيافة الدكتور سامي الذي يسكن مع عائلته في بيته في رقدالين.

طلبت منهم ان يسهلوني الى الغد لآخذ موافقة الادارة على ذلك لانني حينها لم اكن قد عرفت الوضعية بشكل جيد. وفعلا تأجل الموضوع الى اليوم التالي، وبينما انا في قاعة

الدرس وإذا بالاستاذ محمد يخبرني انه سأل الإدارة عن رأيهم وقالوا له ان الأمر بيد الأستاذ اديب، ان وافق فلا بأس.

لما اخبرني بذلك مددت يدي الى مفتاح الغرفة وسلمته نسخة منه بعد ان اخبرني انه قد ينقل اغراضه في يوم الجمعة، لأنني اذهب الى رافد في الزاوية يومي الخميس والجمعة وهكذا جمعنا اجواء الثقافة والنقاشات الجميلة، وقد تعرفت عليه وقد تكون قد لمست ذلك .

- فرات: نعم، ولكنه يبدو لي شخصاً قلماً جداً، اليس كذلك ام انتي مخطيء.

- اديب: انت على حق، يبدو ان حياته تكونت بهذا الشكل، ولا تدسى ان الظروف التي نمر بها في العراق كفيلة بسلب كل مقومات الاطمئنان والراحة، كما ان استاذ محمد رجل كبير وترك عائلة لوحدها بلا كبير يتابعها غير زوجته، فأكبر اولاده لا يزال في الاعدادية ولا يعتمد عليه بل هو في حاجة الى من يتابعه، وفي غياب الاب قد يجد الاولاد مجالاً للتصرفات الغلط والام لا يمكنها ان تحل محل الاب في اكثر الاحيان.

- فرات: السنة تمر بسرعة والاجازة قريبة تمكنه من السفر اليهم.

- اديب: وهذا ما ينتظره الاستاذ محمد.

- فرات: وانت هل تسافر في الاجازة؟

- ادیب: بالنسبة لنا الامر مختلف، فمجيئك من عمان الى هنا وليس الى العراق هو الجواب الكافي لهذا السؤال.

- فرات: انت على حق.

- ادیب: هذا كله الى جانب مسألة خدمة الاحتياط، فاذا دخلت العراق فلن يسمحوا لك بالخروج ما لم تكمل مدة الاحتياط اذا كانت مويدتك من ضمن المواليد المطلوبين والاجازة التي نحصل عليها هي شهر واحد لا غير وربما مع تاخر الاجراءات تصبح اقل من شهر والاحتياط وحده يحتاج شهرين، يعني شغلنا تعبئة من الاساس، وكانت رسائل والذي تتضمن هذا النوع من التلميحات عن سوء الوضع وتردي الامور. بحيث انه كان وبصورة غير مباشرة عبر الرسائل يحاول ابعادي عن فكرة العودة ولا حتى الزيارة المؤقتة.

- فرات: كلامك هذا يذكرني بالحاج عبد الستار جيراننا، كلما سألناه عن ابنه الموجود في السويد ومتى يرجع، يقول: (ما دام ابني بالخارج وماشي بطريقه فاني مرتاح لانه لن يستطيع احد ان يتعرض له بينما لو كان يقربني فقد افقده بين لحظة واخرى، ما بين جيش شعبي وبين شرطي بالسيطرة ما عجبه شكله فيسجنه لاي سبب كأن يدعي عليه بأنه يسب الحكومة، او يأخذونه من البيت باي تهمة كانت ربما لانه ذات يوم ذهب الى الجامع او سلم عليه شخص اخوه معدوم وما الى ذلك من الاسباب التي تبتكرها قيادة الدولة الحكيمة)

- اديب: زمن كله تعب وشقاء، ونصيننا اكبر من الآخرين،
فالكل في هذا العالم يشكو ، الاختلاف في درجة الشكوى
ونوعها.. مع ذلك ما دام هناك اشخاص يموتون من أجل
الإنسانية والحقيقة فعلياً ان نتفاعل وان نفتح نوافذ الروح
صوب المستقبل وان كان مجهولاً وان ننظر صوب الرحمة
الإلهية وننتظر حتى يأتينا طريق لامع يمتد الى الاعماق
ممسكاً بخلجات النفس منطلقاً بها الى عالم سمح نظيف
ينتهي فيه التلوث الذي يحيطنا من كل مكان...
في هذه الأثناء كان مسلسل ليالي الحلمية قد بدا.
- اديب: الله يا فرات، اسمع كم هي جميلة كلمات الأغنية
في هذا المسلسل:-

ليه يا زمن ما سبتناش ابرياء
واخذنا ليه لطريق مامنوش رجوع.....
- فرات: عجباً لهذه الحياة، احياناً تبدو لي واحدة جميلة
عندما انظر اليها من خلال معطيات عديدة يفترض انها
اساسية لفهم النمو الايجابي للحياة، ومرة اراها اسطورة
تحت ثقل الظروف القاسية المحيطة بنا، اذ يفترض ان
يكون للمرء في بلاده ظل يخفف عنه حرارة الشمس اذا
التهيت ويؤويه اذا سقط المطر، ويضمه اذا ابرقت السماء
او عصفت الريح، وعندما يختلف عنه المكان ويصبح بعيداً
فكأن إحساساً بعزاء واسع يحيط المرء من جميع الجوانب،
تحاول ان تهرب منه ولكن الى اين؟ ذلك الحزن الذي

يعيش رسمه في الخيال وصلت إليه أصابع التلوث وما عاد
أمنأ ، السماء نفسها هنا وهناك ، الشمس نفسها والقمر ، لكن
المكان يتغير ، ويتغير المكان أشياء كثيرة تتغير وإن كانت
كما هي .. الغربة تستنزف طاقات كبيرة ما بين انشغال
الذهن المرتبط روحياً بتهدئة النفس التي تركت بعضها في
العراق وبين روح المطاولة والقدرة على العمل بما يوازي
ضريبة الإغتراب ، ربما الحياة وربما الناس وربما
الظروف ، لست أدري بالضبط ، قد أدت دوراً في تركنا على
قارعة الطريق ننتظر من ينقلنا إلى المحطة القائمة وإن كنا
نجهل ما فيها .

- اديب : كان أحد اساتذتنا في الجامعة ، لا يرضى لنا ان
نتكلم خلال المحاضرة أو يقطع احد حديثه وإذا حصل ذلك
ينظر إلينا بحسرة ويتهد قائلًا : مساكين انتم يا اولادي
جيلكم تعبان ومتعب .

- فرات : كان أبي يشد من ازري كلما رأيته محبطاً فيحدثني
عن الأمل الأخضر الذي يجب ان لا يموت وإن مررت عليه
سنوات عجا ف لأنها وإن طالبت ستقضي ويبقى الأمل ، فإذا
كنت بلا أمل فستكون الخسارة كبيرة لأنك ستجد نفسك من
غير نقطة استناد تتحرك من خلالها ، بينما بقاء الأمل وإن لم
يتحقق مضمونه في تلك الفترة فإنه سيكون لديك رصيد تبدأ
به بعد زوال الكابوس وإن كنت حينها ستبدأ من جديد إلا انه
افضل من كونك بلا رصيد ، ثم اختفى أبي ولا تدري أين هو

الآن، لم يبقَ منه سوى تلك الأمل الذي أرى بريقه في عيني والدتي وهي تنتظره منذ عشر سنوات، ومن يدري قد لا نراه مرة أخرى، لأن من يعتقه الأمن فلا أحد يعلم مكانه غير الله... كم حاولنا ان نعرف مكانه، لكن دون جدوى.

- اديب: بأي تهمة اخذوه؟

- فرات: بتهمة (حزب الدعوة).

- اديب: جراحاتنا صديقة وأماننا على ضفاف الجراح تنمو ببطء شديد مع ألم كبير، لكنها لن تموت ما دامت نظيفة ويجب ان لا تموت إلا أماً في الحياة كما قال ابو رافد في رسالته اليه الإسماعيل الماضي، بعد ان اراني رافد صورة طفله مصطفى وهديل، قرأ علي قول أبيه:-

لم اكن ادري ان الظروف سوف تتغير لتصبح الحياة متعبة مؤلمة قاسية لهذا الحد، ففي الوقت الذي اختار فيه القدر زوجتك دون سابق انذار تاركة لك مصطفى وهديل، جاءت ظروف الغربة لتبعدك عنهما من اجل ان توفر لهما مستقبل أفضل.. لست وحدك يا رافد من قست عليه الأيام، كل الناس هنا يبحثون عن متنفس لضيقهم، منهم من اختار رحلة الابتعاد عن الوطن مكرهاً لا رغباً، لتبدأ تجربة جديدة في حياتكم انتم الشباب، لم نسر بها نحن من قبل لأننا لم نكن ندري ان عجلة الزمان تنقلنا الى السوراء عندنا.. هكذا يا ولدي اصبحنا لا نحيا بدون نزيكم في الخارج، فاعذر اباك الذي لم يستطع ان يضمم جراحك بعد ان اتخنت

الأيام جراحه وما عاد يقوى في هذا العمر على الحراك كما كان من قبل، هكذا صار قدرنا يا ولدي بعد أن أصبح المتفرجون في العالم يعرفون سيدنا ريو المسرحية لكنهم لا يفعلون شيئاً، وحيث أننا لا بد أن نعيش، ولا بد لمصطفى وهديل من حياة أفضل، فإن جراحنا ستستمر، فإما أن نضمّد الجراح بعضها، وإما أن نموت، لا رغبة بالموت ولكن إيماناً في الحياة.

... خليني أحجيك هذا الموقف، حكاية لي أحد الأصقاء يقول: كانت بيبيتي رائحة للسوك وشافت حاجة وسألت عن سعرها فقال لها البائع بكذا، فقالت له بيبيتي يعود أشدعوه، فرد عليها البائع وبسرعة: إشي ————— يعود لا تكولين دعوه تره يعمنونه..

— قرأت: قد نكون تمكناً من إيجاد متنفس لضيقنا من خلال السفر وإيجاد فرصة عمل نحسن من خلالها أوضاعنا، بينما هناك العديد من الناس ممن يرغبون في الحصول على مثل هذه الفرص لكنهم لا يستطيعون لسوء حالتهم المادية، فأكثر الناس لا تملك أكثر من قوت يومها، والحكومة فرضت ضريبة كبيرة على السفر وصلت إلى ٤٠٠ ألف دينار.

— أديب: لست أدري كيف اختارت الحياة توزيع الأدوار علينا وبأية معايير تختارنا لأدائها، مثلاً من يتحمل فوق طاقتة ومثلاً من يتفرج دون حراك مثلاً حصل لي مع خالي

سعدون حين قصده ذات يوم وأنا استعد للسفر، كانت المرة الأولى التي أقصده فيها في مساعده، وحين اوضحت له ما انا عازم عليه وبينت له انه سيستلني المبلغ على ان ارثه له عند حصولي على العمل ان شاء الله، لم يكن من خالي العزيز الا ان اكفهر وجهه وكأن هما كبيراً قد نزل به وراح يوضح لي ركود العمل وقسوة المال وما الى ذلك، لم اكن لأجد بدا من محاولة الحصول ولو على القليل القليل لأنني في وضع لا أحسد عليه فطلبت منه ولو (٥٠) دولاراً بعد ان كنت اطمع في الحصول على (٢٠٠) او (٣٠٠) دولار لأنني اعلم بحالته المادية الجيدة جداً، وحتى الـ (٥٠) دولاراً اعتذر او تحجج بعدم وجود أي مبلغ معه وراح يخبرني انه سيحاول مع احد اصدقائه حسي ان يكون مع احدهم، خرجت من بيته وأنا في اشد حالات الاستياء، فلو كانت حالته لا تسمح لكنت عذرتة وما كنت لأذهب اليه اصلاً ولكن القرابة هي التي دفعتني أولاً، وثانياً وضعه المادي الجيد، ولكن مع الأسف كل ذلك كان مخيباً للآمال، وقد كان الشاعر مصيباً حين قال:-

إذا لم يسألك الزمان فحارب

وباعد اذا لم تتدفع بالأقارب
ومع ذلك فان رحمة الله تختار لك يوماً الأشخاص الكفوئين
والذين يمكن ان يسدوا ثغر الأقارب الكبير، فعندما عدت
الى البيت كان صديقي ماجد قد ترك لي خبراً يطلب فيه

زيارتي له بأسرع وقت وكان علي علم بسفري ولما زرته
كان قد هيا لي وبدون ان اطلب منه مبلغ (١٠٠) دولار
وقال هذا دين عليك وانا اعرف انك محتاج لكل دينار وان
شاء الله سيوفتك المولى وتعود الينا وانت باحسن حال.

كانت كلمات رائعة وموقفا طيبا لكنه لم ينسني جرح
الموقف السيء لخالي سعدون، خصوصا عندما حدث
موقف مماثل بين استاذ حمزة وابن اخته وان كان الحدث
والذفاصيل تختلف الا انها تنصب في نطاق القرابة، فقد
وصلت الي استاذ حمزة رسالة من ابن اخته في العراق وهو
يزف لخاله نداء زواجه، هذا كل ما كان في الرسالة كما حدثا
هو عندما سأل عن أي شخص يمكن ان يسافر الى العراق
لكي يبعث معه ٥٠ دولارا يريد لها هدية لابن اخته بمناسبة
زواجه، وقد لا ترى غرابة في هذا الموقف ولكن عندما تعلم
بوضع استاذ حمزة فإنك ستتعجب ...

- فرات: لقد شوقتني الى معرفة هذا الرجل.
- اديب: استاذ حمزة مدرس لغة عربية في ثانوية البنات .
- فرات: اليس هو ذلك الرجل المسن طويل القامة،
ذوالشعر الأبيض الكث.
- اديب: نعم هو.
- فرات: كنت قد رأيته يتحدث مع سلمان ذات مرة في
الطريق الا ان سلمان لم يعرفني به.
- اديب: عموما، هذا الرجل وبش كل مختصر، خارج

العراق منذ ثلاثين عاماً، آخر محطة وصلها هي ليبيا
وبسبب مشاكل لا مجال لذكرها الآن فقد ألغى عقده
المعترب وحول الى عقد محلي وليس هذا فحسب وانما
فرضوا عليه عقوبة شملت بعدم اعطائه الرواتب الا بعد كل
سنة تقريباً ان لم يكن اكثر او اقل ، ويسكن في المدرسة في
غرفة بئسة، ومع ذلك حين اخبره سلمان بعدم وجود
ضرورة لأن يرسل لابن اخته هذا المبلغ، قال له:-

هذا شاب، ويعرف ان خاله في الخارج ثم انني لم اره الا
صغيراً وما هو اليوم يتزوج وقد يعتب عليّ لانه حتماً لا
يعرف ما انا عليه من ظروف، لذا لا بد ان افرح قلبه، ثم ان
وضع اختي المادي ليس بالذي يدعو للاكتفاء بارسال بطاقة
تهنئة بالمناسبة وحسب.

تصور، هذا موقف وذاك موقف!!!

- فرات: الايام تدور يا صاحبي وان شاء الله سننجح في
الغربة وجر احنا بدل ان نموت فإنها ستغذي شرايين الحياة
الفقيرة لنتمو ونخرج من حالتها نحو الاحسن، ولا شك في
ان خالك الان يدرك ذلك.

- اديب: ربما، قد علمت من احدى رسائل ابي اني انه
اضطر للإستلاف منه وطلب مني ان اكتب له اطمئننه انني
سأسدد له ما بذمة والدي، لأن ابي يعرفه وانا كذلك فإنه لن
يصبر على ابي اكثر من مدة قليلة قد لا تتجاوز الشهر
وحيث ان اوضاع ابي او هي على العموم كانت هكذا

الأوضاع في العراق لا تدعو للتفاؤل بحيث يستطيع ان يرتب اموره خلال مدة محددة لذلك طلب مني والذي ان اكتب الى خالي موضحا له انني من سيستد المبلغ عوضا عن ابي فلا داعي لاحراج كل مرة، وفعلا كتبت الرسالة من منطق رفع الاحراج عن ابي، ومرت الايام واذا به يرسل لي رسالة يوضح فيها عتبه علي لأنني كتبت له رسالة عن الدين والفلوس قائلا (ماكو فرق بيناتنه، هذه الفلوس فدوه لك ولأبوك)، ثم انني ما فكرت بمطالبة والدك بالمبلغ.

تصور الفرق بين كلامه في الرسالة وبين كلامه معي حين كنت في العراق ابتغى مساعدته !!!!

-فرات: اذا كان سلوك خالك هذا فطرياً وليس مكتسباً بفعل الحياة الجديدة في العراق فالمثل يقول (لا يصلح العطار ما افسد الدهر)، أما الحياة اليوم فقد أصبحت قاسية جداً في العراق والناس هناك لا يتعاملون الا بالمال ولا قيمة لاشياء كثيرة كانت تنعم بها الحياة، وهذا الكلام ليس عاماً قدر ما هو شائع جداً، ولعل هذا ما جعل الاختلاف واضحاً بين موقف خالك معك وموقف استاذ حمزة مع ابن اخته، فاستاذ حمزة منذ سنين خارج العراق كما اخبرتك، وقد تنقل في بلدان عديدة، وهذا بلا شك قد اكسبه خبرات عديدة وهو في الأقل لم يصب بالتلوث الذي اصيب به كثيرون في بلادنا اما مكرهين او متقبلين، ومع تلك النفوس الضعيفة كثيرة مثل الحاج علي، تاجر الأقمشة في سوق التجار الذي حدثتني عنه.

- اديب : نعم، فعندما علم بسفري، ولكي لا يفسح المجال امامي اذا فكرت بطلب مبلغ من المال منه، قال (اذا ما عنده فلوس يسافر بيها خلي يبيع طحين براس الشارع حاله حال غيره...)، ولما كنت مضطراً ولا مجال امامي وعلي قبول كل ما يقال لأجل ان احقق غايتي فقد تقبلت منه كل ما قال لأنني كنت في أمس الحاجة للمساعدة .

- فرات : لا تطلب الحاجات الا من اهلها.

- اديب : نعم هذا صحيح، وعندما لم يجد بدا من مساعدتي طلب مني ان اذهب اليه الى المحل وهناك نادى علي جاره

ابو صلاح وقال له :-

ابو صلاح هذا ابن اختي الذي حدثتك عنه وطأبت منك مبلغا من المال كي اعطيه له لأنه سيسافر، لاحظت الرجل كأنه نوعا ما استغرب من الحديث ولم يكن منه إلا ان قال نعم من الأفضل لك ان لا تبقى في العراق (روح شوف مستقبلك برّه)... هذه هي صلة الرحم!!!!.

- فرات : الحديث عن مثل هؤلاء لا يليق بنا، وعلى العموم (الدنيا دوّارة).

اريد منك ان تصحبني غدا الى استاذ حمزة لاتعرف ظيه بعد ان تخبرني قصته.
- اديب: لك ما شئت.

ترك استاذ حمزة العراق في بداية السبعينات، وهو من
اوائل المنظمين الى الحزب، الا انه لم يشأ العمل مع جماعة
صدام لقناعته انهم لا يمثلون الوجه الصحيح للحزب كما
يقول هو دائما..

اضطره موقفه هذا الى الاعتقال في قصر النهاية وكان من
المتوقع اعدامه، الا انه خرج باعجوبة، قرّر بعدها عدم
البقاء في العراق وتمكّن من خلال احد المناضلين الاوائل
الذين يعرفهم والذي تسلق مع المتسلقين لأنه يريد ان يعيش
على حد رواية استاذ حمزة للأحداث، قصد صديقه هذا
والذي صار يعمل في التربية..

طلب منه المساعدة في الخروج من العراق، وذات يوم
ارسل في طلبه ليخبره ان بعثة ستسافر الى الجزائر للتعاقد
هناك مع المدرسين وانه سيدرج اسمه ويحاول ان يمشي
الأمر، يقول استاذ حمزة ان المعاملة وصلت الى احد
المسؤولين والذي اراد ان يعرف الأمور لأنه يعرف استاذ
حمزة جيدا وحاول الانتقام منه لأنه رفض خطتهم الذي
اخططوه للحكم في البلاد، الا ان ايادي القدر شاعت التدخل
لاندقاذ استاذ حمزة، وهو عندما يتحدث عن ذلك تراه مبهورا
بأنه استطاع الإفلات من قبضتهم..

ومرّت الأيام ليسافر حمزة الى الجزائر مدرّسا للغة العربية
في العاصمة، وتمرّ السنين لتحلّ الجزائر في حياته ركناً
مهماً ولعلك ستلاحظ ذلك عليه فكلما تحدّث عن الجزائر،

انفتحت أساريره وابسّم منشراح الصدر، وراح يتحدث بشوق وحنين إلى تلك الذكريات.

- قرأت: وكم بقي فيها؟

- أديب: اعتقد ثمانية إلى عشر سنوات، لا أذكر بالتحديد.

- قرأت: هل هو متزوج؟

- أديب: تزوج من جزائرية، إلا أن زواجهم لم يدم طويلاً بسبب استاذ حمزة كما يروي هو إذ يقول:-

(حقها اني كنت اخرج الصبح للدوام واعود على الغداء وانام الظهر لأخرج عصراً إلى المقهى حيث الاحاديث السياسية وابقى إلى الليل حيث اشرب مع الاصدقاء وهكذا إلى منتصف الليل أو الصباح واعود ثملاً أو متعباً، مما لم يجعل الزوجة تتحمل ذلك) حتى قالت لي:-

تزوجت لأكون امرأة وإمّا، وانت لا تريد أن تحقق لي ذلك فإما أن تتركني، وإما أن تغير نظام حياتك...

وهكذا كتب على زواجنا العشل، فأنا في الحقيقة لا أصلح لأن أكون زوجاً.

هكذا امضى استاذ حمزة السنوات المتبقية في الجزائر، كنا إذا سألناه عما جمعه من مال خلال تلك السنوات يقول:-

خويه انه اشتغل السنة كلها واجمع فليساتي واسافر إلى فرنسا وهناك اصرف كل فلوسي، وداعني وداعتك لو ما اسوي هيج جان منك من زمان، وبعدين لمن اضمّ الفلوس، يا ما، دادة...

بس مع تلك جانت اموزي ممتازة، الى ان كتب احدهم عني
اذني اتحدث في المفاهي ضد الحكومة.

- ادیب: سلام علیکم استاد حمزة ، .
- استاد حمزة: هله خويہ، علیکم السلام، تفضل .
- ادیب: معي ضيف.
- تفضل اهلا وسهلا.
- ادیب: اخونا فرات، صار له مدة يريد يشوفك ويتعرف عليك.
- استاد حمزة: اهلا وسهلا، تفضلوا
- فرات: سمعت عنك كثيرا، الليييون هنا كلهم يعرفونك تقريبا.
- استاد حمزة: مولاي اني صار لي سنين وياهم، شلون ما يعرفوني، وبعدين اكثرهم اتي درست ولداهم وبناتهم.
- ادیب: كنت احسب فرات عن الجزائر وایامك فيها
- استاد حمزة: الله سيرجع ذبح الايام، جنت عايش حياة حلوة.
- فرات: ویش ترکنها.
- استاد حمزة: مولاي همة طردوني، ما سؤلک ادیب.
- فرات: كان قد وصل الى هذا الموضوع ونحن على باب المدرسة.
- استاد حمزة: مرة من المرات كنت جالسا في المقهى ودار حديث بيني وبين اخرين كعادتنا كل مساء ، احسب النقاش وكان عن الجزائر وحكومة الجزائر في ذلك الوقت، فقدت اعصابي وقتها لأن احدهم استقرني فسببت الحكومة،

- واتضح ان هذا الشخص قد كتب ضدي تقريراً للحكومة
فالغي عقدي وتم طردي نهائياً من الجزائر، ركبْتُ سيارتي
وجئتُ الى ليبيا.. وذلك يوم وهذا يوم..
- فرات: ادب يقول انك هنا منذ سنين.
- استاذ حمزة: تقريباً راح يصير (١٢) سنة.
- فرات: ما فكرت بالرجوع الى العراق.
- ادب: استاذ حمزة سولف براحتك، لا تخاف ترة فرات
امان.
- استاذ حمزة: اني مطمئن ما دام هو وبائك، وبعدين ابن
الحكومة امبين ذاك هو.
- لا خويه مادام صدام موجود اني ما ارجع، اذا رجعت غير
يعدمني، وبعدين شكول للناس، ليش اني طلعت وليس راجع
هسه، مو عيب علي بعد كل هذي السنين استسلم بسهولة.
- ادب: هذا موضوع قديم استاذ حمزة بس انت تبالغ،
بمعود هسه منو علي باله.
- استاذ حمزة: مولاي انت ما تعرفهم، هذوله عصابه اولو
بعد مية سنة ما يجوزون مني، اني اعرفهم كلش زين.
- فرات: ما رأيك بالليبيين؟
- استاذ حمزة: والله على العموم ناس طيبين، يعني الدنيا
وناسها ومشاكلها بصوب، وهسه بصوب.
- ادب: ترة استاذ حمزة عنده علاقات واسعة وية الليبيين
وبعدين عنده مشاكل قديمة ويأهم.

- فرات: شلون...؟!
 - استاذ حمزة: هذه الامور كانت في البداية، اول قدومي من الجزائر، فأنا امضيت عمري في الحديث عن السياسة، ولم استطع السكوت، وعندما جئت الى هنا تكلمت وانتقدت الأوضاع.
 - فرات: وماذا فعلوا لك.
 - استاذ حمزة: الحقيقة تعاملوا معي بشكل ممتاز.
 - فرات: وكيف؟
 - استاذ حمزة: طلبوا مني الحضور الى مديرية الأمن، ذهبنا الى هناك، فتحدث الى الضابط وقال:-
 - استاذ انت هنا في الجماهيرية لكي تعمل ولا مانع لدينا من بقائك سنين، كما لا نمانع من عملك، لذا عليك ان تكتفي بأنك هنا من اجل الكسب فقط، اجمع ما شئت من المال وابق ما شئت من الوقت، اما ما نتحدث به للآخرين فهو ليس لمصلحتك، وهذا البلد بلدنا ونحن من يدير الأمور فيها ولا نريد من احد التدخل، ارجو ان يكون هذا الكلام بمثابة درس لك لأننا في المرة القادمة لن ننسأهـل معك.
 - فرات: والله شيء جيد وطريقة جيدة، لو كنت في العراق لا عدموك بدون مقدمات.
 - اديب: ليس هو تاب بعد هذا الكلام والتهديد.
 - استاذ حمزة: أكثر الليبيين اما في الشرطة او الأمن او المخابرات واي كلمة تقال تصل الى المسؤولين بسرعة،

وأنا لا أعرف السكوت فقد أرسلت مديرية الأمن في طابقي
مرة أخرى وهذه المرة بدأت العقوبة.

- فرات: ماذا فعلوا لك ؟

- استاذ حمزة: الغوا عقدي المغترب وحولوه الى عقد
معاملة الليبيين، أي انني اتقاضى مرتبي كما ابن البلد بدون
تحويل الى العملة الصعبة، وليس هذا فحسب بل نعمدوا
عدم اعطائي المرتبات الا كل سنة او سنتين او ثلاثة وما لم
اتوسط وأعاني، ما كانوا يصرفوا لي مرتباتي.

- فرات: عقوبة ذكية.

- استاذ حمزة: وأنا على هذا الحال منذ حوالي ثماني
سنين.

- اديب: موزين ما طردوك من ليبيا كلها.

- استاذ حمزة: امضيت العمر وأنا افكر بالآخرين،
واتحدث باسم الآخرين، لم اكن اعط اهمية لحياتي الخاصة
كان يكفي ان اعيش يومي، حتى وجدت نفسي مهملاً من
قبل الآخرين، خارج نمط الحياة الجديدة، كانت هموم الناس
ومشاكلهم ومعاناتهم هي الدافع الاكبر لي ولغيري من
المناضلين للعمل والبقاء، والمناذاة بالحرية تغطي على كل
هدف شخصي اخر نفكر به، وفي النهاية ها انا ذا اسير هذه
الحياة التي لا تريد ان تنتهي ولا تريد ان تريني ذلك اليوم
الذي طالما حلمت به، منذ ١٩٧٠ خرجت من العراق
ولليوم مررت خلالها بالعديد من الدول وعملت في السياسة

- التي لا اعرف حرفة غيرها، فدخلت السجن، وضربت،
وطردت، حتى استقر بي الحال في هذا المكان.
- اديب: الحديث معك يا استاذ حمزة ممتع ومشوق،
والساعة الآن الثانية عشرة ونريد الذهاب.
- استاذ حمزة: زوروني كل مرة، وجيب قرأت وياك.
- قرأت: ان شاء الله.
- اديب: في امان الله.
- استاذ حمزة: في امان الله.

في الطريق العام وباتجاه بيت استاذ علاء.

- قرأت: لست ادري، امسكين استاذ حمزة ام ان الحياة لا تحترم معاناة الآخرين، وهل هو السبب في ما وصل اليه حاله ام ان هناك امورا اخرى ارغمته على ان يكون في هذا الوضع.

- اديب: كل الاحتمالات واريدة، فأحياناً لا يمكنك ان تفعل الشيء الصحيح لأن الخطأ هو الغالب، ومواجهته توقعك في مشاكل كثيرة جداً، هنا في ليبيا على سبيل المثال، عندما تعينت في المعهد، سئمتني طلبة المرحلة الأخيرة، وفي نظام المعهد المتوسط فإن الطالب يُحرم من دخول الإمتحان النظري اذا كان راسياً بالعمل، وبهذا فهو يعد راسياً لذلك العام، وكنت انا ادرّسهم العملي مع مدرّس ليبي، وفي آخر العام رسب تسعة طلبة في الإمتحان العملي، سلمنا النتيجة الى الإدارة، وكان الأمر طبيعياً عندي حتى فوجئت عصر ذلك اليوم بـ (صالح) مدرّس (الوعي السياسي) في المعهد يريد التحدث الي في موضوع:

- اديب: تفضل صالح، خيراً ان شاء الله.

- صالح: استاذ اديب كديش صار لك في ليبيا؟

- اديب: تقريبا سنة اشهر.. لماذا؟

- صالح: هل تعرف استاذ سلمان، المدرّس في ثانوية

البنات، وغيره من الأساتذة العراقيين هنا في رقدالين؟

- اديب: نعم، اعرف الأستاذ سلمان.

- صالح: ألم يخبرك بشيء؟
- اديب: بماذا يخبرني.. لم افهم منك شيئاً.
- صالح: استاذ اديب ، انت جديد هنا ، وربما لا تعرف اسوراً كثيرة.
- اديب: انا لا افهمك يا صالح، ليش ما نخش بالموضوع ونريحني.
- صالح: استاذ اديب ، عندك تسعة طلبة سقطوا في العملي، صحيح؟
- اديب: هذا صحيح.. ما المشكلة.
- صالح: استاذ، معهدنا ليس المعهد الوحيد في الجماهيرية
- اديب: ما زلت لا افهم.
- صالح: الطلبة الذين رسيوا بالعملي لن يُسمح لهم بدخول الإمتحان النظري، هل لديك علم بذلك.
- اديب: نعم.
- صالح: هذا يعني انهم راسبون هذا العام، وهذه هي المشكلة.
- اديب: واين هي؟
- صالح: (ما عندناش طائب يسقط، وخصوصاً بالعملي، وبعدين هذيله الطلبة ممكن يديرو لئه مشاكل كثيرة، وخصوصاً اذا كان احدهم ابن مسؤول كبير أو من عشيرة كبيرة أو أي حاجه، هذيله ممكن يسكروا المعهد، وبعدين انت ليش تخلي نفسك بالمشاكل، خليهم ينجحوا بالعملي

وبعد تألي كل واحد يدبر راسه بالنظري، اذا سقطوا يكون الخلل منهم هو من المعهد بس توأ ممكن تجينا مشاكل كثيرة، وتحقيق وغيره، واحنه مش فاضين لهذه المشاكل).
- اديب: وماذا عساني افعل، النتائج سلّمت، ولا استطيع فعل شيء.

- صالح: انا اريد تعاونك معي وانا اكمل الباقي.

- اديب: وكيف؟

- صالح: ان توافق على اعادة الإمتحان للطلبة.

- اديب: بس المشكله ان الطلبة قد غادروا المعهد ويصعب إبلاغهم، كما ان الإدارة قد لا توافق على ذلك.

- صالح: الطلبة والادارة عليّ، انا ارتبها، انت بس وافق.

- اديب: اذا كان ذلك سيسبب لنا المشاكل فأنا مستعد لتعاون.

- صالح: ستكتب الإدارة الى رئيس القسم تطلب منه اعادة النظر في نتائج الإمتحانات العملية، بشكل علمي صحيح، وستطلب منك إعادة الإمتحان وان تقدّر النتائج انت وستكون النتائج التي تقدّمها هي المعتمدة.

- اديب: قصّدت نجاحهم كلهم ...

- صالح: نعم هذا هو المطلوب، كما اوضحت لك.

- اديب: افعل ما تراه مناسباً وصحيحاً، واذا كانت الادارة ترى ذلك، فأنا لا مانع عندي وان كنت غير مقتنع بهذا الإجراء الخاطيء.

- صالح: ستريك الأيام القادمة أشياء أكثر واغرب.
الله غالب يا استاذ.

- اديب: نعم، الله غالب.

- اديب: هذه مثلاً مشكلة من مشاكل الحياة الاجتماعية، ففي الوقت الذي ينبغي لنا ان نؤدي دوراً في حلها، وجدنا انفسنا نمشي مع الموج، ولست وحدي، فأكثر المغتربين يعانون من هذه المشكلة .. نحن اغرباب في هذا البلد، وليس لدينا من يدافع عن حقوقنا، في العام الماضي، وفي مدينة الزاوية دهست سيارة، أحد العراقيين وهو استاذ في جامعة السابغ من ابريل، عندما كان يعبر الشارع الى الجهة الأخرى، ولما ذهب وفد من اساتذة الجامعة الى السفارة العراقية، لكي يطلبوا منهم التدخل لإستحصال حقوق زميلهم، اجابهم الموظف المسؤول:

إحنه ما درنده عليه منو كاله يجي .

- فرات: موقف مو غريب عليهم.

- اديب: عموماً، من هذا الموقف وغيره، نجدنا بحاجة الى التصرف بما يحفظ لنا وجودنا بعيداً عن ارتكاب الأخطاء الكبيرة التي قد لا نجد ثمناً ندفعه لها.

- فرات يدندن مع نفسه بصوت مسموع:

هم هاي دنيا وتكظي وحساب اكو تاليها....

- اديب: أه... أه... أه.

بله خويه تصيح على خير

- فرات: وانت من اهل الخير.

الأيام تمضي وإجازة نهاية العام الدراسي تقترب..
كل هواجس استاذ محمد تتوقد وتحركاته تكثر وقلقه يزداد،
هو يحاول الحصول على الإجازة والاستفادة من الوقت لكي
يقضي أطول فترة ممكنة مع أولاده في العراق، وما بين
تقديم طلب الحصول على الإجازة وبين الحصول على
موافقة الجوازات بالسفر وبين الحجز في المطار حيث
تشغل الخطوط وقد لا يجد موعداً قريباً للسفر، وبين شراء
الهدايا للأهل والأصدقاء، لم يتركذ في ان يسألني ما اذا كنت
اتوي إرسال هدايا معه الى الأهل، وكنت قد هديت رسائلي
وبعض الهدايا لأهلي، الا انني تركذت في طلب ذلك منه لما
يمكن ان تسببه الهدايا من ثقل عليه.

موعد سفر استاذ محمد يقترب، ففي يوم الاثنين الموافق
١٩٩٩ / ٤ / ٨، وفي الثامنة صباحاً عليه التواجد في مطار
طرابلس العالمي لأن موعد الإقلاع سيكون في العاشرة
صباحاً بإذن الله..

خرج اديب مع استاذ محمد فجر الإثنين في الساعة
الخامسة بعد ان اتفق مع سائق سيارة ليوصله الى المطار..
في المطار بدأت اجراءات السفر، وما هي الا ساعة تقريباً
حتى طلب من المسافرين التوجه الى الطائرة..

على الرغم من تكرار لحظة الوداع مع الكثير من الأصدقاء
الا انها تبقى لحظة مؤلمة وخاصة عندما تفصل بين
صديقين او مجموعة جمعتهما الأم واحلام مشتركة، ورغم

اننا لم نكن نملك قدرة الخروج من تعريف الانسان إنه كتلة
من المشاعر والاحاسيس، فموقف كموقف الوداع هذا يعيد
للاذكرة تلك المواقف المشابهة التي كانت اشدّ ألماً وأوجع
في النفس من هذه المواقف لأنها ولدت عن تكرار لسابقاتها،
أما الولادة الأولى للحظات الوداع فكانت في العراق حيث
نخوض التجربة لأول مرة على الصعيد الشخصي وعلى
صعيد العائلة العراقية، إذ ان الفارق كبير وواضح بين ان
تسافر بهدف العودة بعد اتمام عمل ما أو رحلة معينة
محددة، وبين ان تسافر لأجل غير معلوم بهدف الغربة..
كانت دموع الأهل خير ترجمان لهذا الفارق، وكانت
نظرات أمي تبدو خائفة من الزمن القادم، نائمة على الزمن
الحالي، فكانت يداها لا ارادياً تمسك بي بشدة، فلا هي
ترضى ابتعادي عنها ولا هي ترضى وجودي متعباً مهموماً
بقرّبها.. كانت الدموع تنطق بدل ذلك الإضطراب، حنوت
على يديها، قبلتها واملئت على شفتي ان ترسم بوجهها
ابتسامة ولو على مبيض لعل امتص بعض الأمها،
واخفت بعضاً من ذلك الهلع الذي انتابها وان اهتم بالخروج
من الدار.. ركضت ورائي الى الباب وعيونها لا تزال
تذرف الدمع وشفاتها ناشفتان فرّت منها كل الكلمات، لم
يعد هناك لفظ يستطيع ان يعبر عن جيل بين زمنين في
لحظة واحدة وبكلمات معدودة.. راحت يداها تمسك بعضها
وفي داخلها تعتصر الألم ويحدث التفاعل داخل نفسها

فتنهـمـر الـدمـوع من سماء عينيها وما هي الا دموع الحزن
ولو عة الفراق التي لم تستطع ان تروي وجهها الذي اصفر
وبان فيه الشحوب، وشفتاها التي جفت كأنها لم تلامس
عروفاً دافئة منذ زمان بعيد ، وصوتها الذي بُح، وحنجرتها
التي اضطربت، حتى ما عادت تعرف كيف يصاغ الكلام،
او كيف ينشأ الصوت فيها.. كنت اتمزق انا ايضاً من داخلي
لكنتي لم اشأ ان ابين ذلك لكي لا ازيد معاناتها، وكنت
اتظاهر بالإبتسامة رغم ان كل جسمي يرتعش كلما نظرت
إلى عينيها.. ماذا عسانا نفعل ونحن يوماً بعد آخر نتجرد
حتى من قدرة التعبير عن مشاعرنا وترجمة ما في نفوسنا،
عاجزون حتى عن رسم ملامح حياتنا رغم وجود المقدرة على
ذلك، انه أمر صعب ان نمثلك، مرغمين، القدرة على
الموت البطيء، لأن قنوات الحرية مشفرة في ثنا المشوش،
ولأن ثمانية وعشرين حرفاً في لغة العرب لم تستطع
الوقوف بوجه كلمة تقوّه بها شيطان، فصارت سوطاً بيد
الحياة، تضرب به الأبرياء وتفرق به شمل الأحبة.

طلب اديب من فرائد البقاء معه أيام سفر الأستاذ محمد، لأن
 البيت، سيكون فارغاً عند وجود أبو ملهم، وهو مهندس
 كهرباء في المعهد العالي في رقدالين، وحيث ان اديب ليس
 له سابق معرفة بهذا الشخص، كما ان له علاقات تجعله
 يمضي اكبر وقته خارج البيت، بالإضافة الى ان سكنه في
 البيت جاء بالحاج وطلب من استاذ حمزة، لأن اديب يقول:
 انني لما ملئت السكن في المعهد لأسباب كثيرة منها كون
 السكن عبارة عن غرفة وسط المعهد، وبعد صرف الرواتب
 اخذت الأمور تمشي بشكل جيد بحيث يمكنني ان استأجر
 بيتاً، كنت اول الأمر ارغب في استئجار بيت لوحدي بعد ان
 وجدت الاختلاط مع الناس وخصوصاً العراقيين في
 الخارج، متعبة وغير مجدية لأن المشاكل كثيرة والفائدة
 قليلة أو معدومة، حتى ان الحاج (اميه) الليبي قال لي ذات
 مرة: (يا استاذ احنه شفقنا ناس كثير في ليبيا بس اني
 ملاحظ حالة غريبة عندكم انتوا العراقيين وهو انكم وكأنه
 محدث يعرف الثاني مع اتوا كلكم عراقيين).
 لم اجد ما ابرر به ما قاله الحاج اميه غير أن أقول ان
 النظام في العراق ولمدة طويلة من السنين قد نسّ العديد من
 عناصره للتجسس على الناس، وقد حدثت مشاكل كثيرة
 بهذا الشأن، لذلك نحن هنا نتجاسى التعرف على من لا
 علاقة مسبقة لنا به خشية الأذى الذي يمكن ان يلحقنا او
 اهلنا في العراق.

كان وجود فرات معي في البيت ووجودي معه عنصر كل يوم في محل عمله ، قد خفف ثقل تلك الأيام ، فعلى الرغم من محاولة المواجهة وتحدي ازمان الوقت والرغبة في اثبات الوجود كنت اتحسس بعض الدموع تطرق نافذة عيني ترقب انفتاحها لتنهض ، وكنت اذا خلوت الى نفسي اطلق لها العنان فتجري غاسلة همومي ، وطموحي الذي تكدست عليه اترية الإحباط والشعور بعدم الوصول الى نتيجة ايجابية في زمن لم يستطع فيه بستان من الشعر ان يكسر شوكة غرسها الواقع المر في جسد الحياة الجميلة .. الأمل راح يخذلق ، والعين ترقبه بسكون وصمت مطيقين وتقتصر اشعة الشمس عن ان تصل جذور الروح ، وتعجز كل الإنجازات الكبيرة في حياة الناس عن اجتثاث معاناتهم ويأتي الليل ليطبق خناقه على الأنفاس المنهكة في صدور جيل من الشباب الذين مرت عليهم سنوات الحرب والحصار فضاعت حياتهم بين هذه وتلك ودون أي شيء يستحق ، وتمر ساعات الليل الثقيلة ليأتي الصباح المخيف رغم جمال نعماته المعانة ، يمسك بمفتاح يوم جديد ، لكنه لا يضيف جديدا ، هكذا مرت الأيام والشهور والأعوام ، وكأن الحياة في عيون الكثيرين منا تقف كل يوم بباب القدر تبكي وجودها وتظاهر محدثة امام التقويم ، محتجة على طريقة الحساب القديمة للأيام ، مطالبة بالتغيير ، فإذا بصوت ام كلثوم ينبعث من المقهى المقابل لمكان عمل فرات :

يا حبيبي كل شيء بقضاء

ما بأيدنا خلقنا تعبنا

ريما تجمعنا أقدارنا ذات

يوم بعنما عز اللقاء

يوم في شهر، وشهر في عام، واللّيل في رقّالين ينام قبل
أوانه بعد أن يتأثّب ساعاته في أفواه المسنين وهم يفترون
الرمّل في ظلّ شجرة حيث الظلّ البارد صديقاً، يلعبون
الكارثة (الورق) أو (الخربكة) وهي مجموعة حصي
يحرّكونها على مخطط رباعي محفور بالعصي على
الرمّل، بينما بعض الصبية هنا وهناك يمارسون لعبة كرة
القدم التي لا بديل أفضل منها للقضاء على الوقت، يساعدهم
الفضاء الواسع لإقامة ملاعبهم، أما الكبار منهم فينظمون
الدوري في ساحة مدرسة ثانوية الناصر للبنات الكبيرة،
ويلعبون كل يوم تقريباً أوقات العصر حتّى الغروب،
والبعض من الشباب يسحق وقته تحت عجالات سياراتهم
الحديثة الهاربة بهم وهي تلتهم الطريق لتؤدي يوماً بحياة
عدد منهم، فلا يكاد يمرّ يوم دون حوادث سيارات كما يقول
د. فيصل، ومع ذلك فلا حدّ لإستمرار هذا الموت الزاحف
عبر حديد السيارات إلى شباب في مقتبل العمر بلا هدف أو
طموح في الحياة أكثر من العمل لبناء البيت وتأثيثه لأجل
الزواج، ومع وضوح الهدف فقد يصل بصاحبه حدّ
الأربعين من العمر كي يحققه.

- أبو عجيّة: (مدرب فني في المعهد): يحتاج الزواج
عندنا إلى مصاريف كثيرة ابتداء من بناء البيت وتأثيثه حتّى
مصاريف الفرح .

- سلمان: هل بناء البيت، وتأثيثه ضروري قبل الزواج ؟

- ماذا لا يكون ذلك مستقبلاً، أي بعد الزواج؟
- **أبو عجيلة:** محكش يرضى بزواج بنته لو احدى معنداش حوش، قبل، على ايامنا كان هذا الكلام موجود، أنا مثلاً تزوجت في حوش سيدي، بس توة الدنيا تغيرت والبنت متبش تكعمر مع اهل جوزها ومرات اهلها ميئوش، هذا عيش الناس يديروا حياش قبل لا يجوزوا.
- **علاء:** بس هذا العمل ينعكس سلبياً على الزواج المبكر.
- **ابراهيم:** معي في المدرسة ما لا يقل عن اربعين ابنة، خمس وثلاثين منهن اذا لم ابالغ بدون زواج، والمشكلة ان اعمارهن تقرب من الثلاثين، والبعض منهن تجاوزن الثلاثين، وحتى الشباب الليبي كثير منهم اعمارهم كبيرة وبدون زواج، والمشكلة الأخرى ان عند الإناث في ليبيا اكبر من عدد الذكور.
- **مولود:** (ليبي موظف في المعهد العالي): الله غالب يا استاذ.
- **انيب:** شنو ذنب البنت وخصوصاً ان العائلة الليبية كثيرة الولادات، واغلب هذه الولادات من الإناث، يعني كل بيت تقريباً اربع أو خمس بنات في سن الزواج.
- **أبو عجيلة:** كل واحد ياخذ نصيبه يا استاذ.
- **ابراهيم:** انا لاحظ وجود مشكلة أخرى هي ان البنات اللاتي تتجاوز اعمارهن الثلاثين هن الضحية في مجتمع مغلق مثل هذا المجتمع، لأن الفرصة في الزواج ستصبح

نادرة جداً ان لم تكن معدومة، فالشباب الذي يقدم على الزواج لن يفكر بينت عمرها ثلاثين عاماً، اليس كذلك يا ابو عجيلة؟

- مولود يقم نفسه: البنات هلبه يا استاذ، اني مثلاً مانتجوزش غير بنت عمرها متاع عشرين أو أقل، وبعثالي الليبين يطلبوا منك نفس المهر اذا كانت بنتهم كبيرة والا صغيرة.

- ابو عجيلة: في عندنا شيايين كبار، مرأت الواحد منهم بي يجوز لأن جوزته ماتت وبي وجه ترضي صغاره، او مرأت راجل مطلق جوزته وعنده منها صغار وبي حاد يرعاهم، هذولا يجوزوا البنات اللي اعمارهن عدت سن الجواز.

- ابيب: بالله عليك هو هذا الحل، ليش ما تكول المشكلة تتعلق بكبار القوم عنكم، يعني معقوله ما يكدروا يلاكو حل مناسب.

- علاء: يمعود الناس هنا مكسكه وما معتله على شي ...
- ابو عجيلة: شوف يا استاذ راهو كل واحد وقسمته، وبعد تالي في اسباب كثيرة، مرأت الليبية طلباتها هلبه والفقير مستحيل يكذ يتجوز بهذه الطريقة، لهذا يتجوز برأنية، من تونس او من مصر او من أي مكان.

- علاء : عبد السلام اللي يشتغل معنا في المعهد زوجته
مصرية، وفي كثيرين على هذا الحال.

- مولود: عبد السلام اللي يخدم في الحسابات ؟

- علاء: نعم.

- مولود: هنا البنت الليبية ما ترضاش تتجوز واحد معوق
لهذا مفيش كذا ما طريق غير انه يتجوز برانيه، وهذا السبب
على الأغلب هو الدافع وراء الزواج من برانيه.

ومو بس هيك، هناك الجواز من قبيلة غير القبيلة اللي
ينتمي لها الولد، مثلا انت من قبيلة، باهي، وتحب وحده من
قبيلة ثانية، مرأت ما يجوزو هالك، اهلهما يرفضوا أو أولاد
عما أو أي سبب آخر المهم يمنعوا الجواز من قبيلة أخرى.

- الديب: حتى لو لم يتقدم لها أحد من أبناء عمها أو أقرانها؟

- مولود: مرأت.

- أبو عجيلة: بس مش ديمة هذا الكلام يا مولود.

- مولود: اني ما كلتش انه هذا هو الماشي، بس موجود
عندنا، وبعدين في حاجات عندنا راهو متخشش العقل.

- أبو عجيلة: زي شنو.

- مولود: اخي الكبير (عبد السلام) ، خطب بنت عمي
وصار لهم تقريبا سنة مخطوبين وقيل شهر لما فاتح عمي
بأنه يريد أن يتزوج، اخبره عمي انه لن يسمح بذلك ما لم
تتزوج اختها الأكبر، طلب منه (عبد السلام) أن يوافق على
زواجه من ابنته لأنه أتم كل أموره ولا مبرر للانتظار فقد

يطول الأمر إذا تعلق بزواج اختها الأكبر وهذه قسمة ونصيب، ردّ عليه عمّي أنه إذا لم تتزوج بنته الأكبر فإنه لن يسمح بزواج ابنته الثانية وإذا ما يعجبك الحال افسخ الخطوبة، وفعلاً تأزم الموقف وانتهى بفسخ الخطوبة. .
نوه هذا الكلام باهي؟.

- فرات: يعني عمك تسبب في الوقوع بهذا المأزق بسبب الجهل، فبذل أن يزوج البنت ويخفف عنه الحمل، اغلق النوافذ أمام بناته، اكيد البنت اللببية مظلومة عندكم؟!
- إبراهيم: اسكاذ حمزة يعرف الكثير عن عادات اللبيين فهو قديم هنا وله علاقات واسعة مع الناس، بالإضافة الى انه يدرس في ثانوية للبنات ومعه العديد من الأبحاث، يقول ان شخصية البنت اللببية قوية ومتسلطة اكثر من الرجل، لكنها بالمقابل اكثر نضجاً من الرجل، وتشعر انها ضحية المجتمع والتخلف.

- ابو عجيّة: والله شنكولك، مرّات يكون كلامك صحيح.
- مولود: وشنى الحال عندكم غادي في العراق؟
- علاء: الزواج عندنا غير مكلف، بل العكس، واهل العروس لا يشترطون وجود حوش مستقل، ولو ان البعض يفضل ذلك، كما ان الأمور تصبح اسهل بكثير خصوصاً عندما يكون اهل البنت على دراية كافية بالتولد واهله وطبيعة البنت العراقية متفهمة وغير متسلطة، بعض العوائل تطلب من العريس عندما يكون غريباً عنهم، فانهم

يطلبون أشياء أكثر مما لو كان قريباً، هذا من ناحية الضمان
وأشياء من هذا القبيل.

- فرات: عندما أراد ابن صمتي أن يتزوج، كنا من ضمن
الحاضرين، كان جدي كبير العائلة ووالد العريس
واعمامه، وكان والد العروس واعمامها.. دار الحديث حول
المقنن والمؤخر، وحيث أن خالي في وضع مادي جيد فقد
أراد أن يفرض مبلغاً من المال ليخرج الحضور ويجعله
امراً واقعاً، وافقه إخوته على ذلك، إلا أن وجود الكبار مثل
جدي، جعله يرفض قبول ما قاله خالي واعتبره تجاوزاً
على ما هو متعارف عليه لأن فرض خمسة ملايين كمهر،
سيغلق الباب أمام الشباب الغير ميسورين إذا ما فكروا
بالإقدام على مثل هذه الخطوة، وبالمقابل لكي لا يجرحوا
شعور الأب أو لكي يمنحوه كامل الإطمئنان، تعهد أبوه
واعمامه وكبار العشيرة بأن يقوم ابنهم باللزم وأي تقصير
يحدث فإنهم كفيلون به.. هكذا هي الأجواء عندنا، أو هكذا
تركناها وراءنا، وبلا شك أن الأحوال الآن قد تغيرت،
كنني لا اعتقد أن تلك العادات الجميلة قد تتغير.

- اليب: في هذه السنوات الأخيرة ربّما يمكنني القول أنها
جعلت الوضع عندنا مشابه لما هو عندكم من حيث كثرة
العوانس والشباب المضربين عن الزواج، وهذا نتيجة
للظروف الصعبة التي نعيشها، إذ أن جميع النواقد مغلقة
امامنا، فمع السعي لكسب المال، هناك هموم أخرى

وضرائب كثيرة علينا ان نسددها، والجماعة يعرفون ما
اقصد!!!

صوماً لا أحد يملك الرغبة في انشاء اسرة واطفالة عبء
جديد الى اعباء الحياة العراقية الثقيلة، ومع ذلك فالذي يريد
ان يتزوج يجد من يسهل عليه الأمر، وفي كل الأحوال فإن
العائلة العراقية لا تزال تحتفظ بذلك الإرث الجميل من
العادات، وبحكم البيئة والتكوين فإن العائلة العراقية تختلف
عن العائلة الليبية في أمور كثيرة منها الزواج وما يتعلق
بهذا الأمر.

- مولود: حتى نحن الشباب حالنا من حالكم، فربما لا
نعرفون ان هناك امورا كثيرة صعبة في حياتنا، وضرائب
كثيرة تنتظرنا، هناك امور كثيرة خافية عليكم، بحيث تبدو
كم اننا مرتاحون في حياتنا.

- علاء: مثل ماذا؟

- مولود: اشياء ربما لا يمكنني التحدث بها!!!.

- اديب: لا شك في انكم انتم ايضا تؤدون دورا في هذا
الإخفاق.

- ابو عجيبة: تبوا الحاك يا جماعة، راهو احذو الليبين ما
نخدموش ونبي كل شي عال حاضر.

- علاء: العقوبة هي التي يمكنها ان تحسن وضع العمل،
وتمشي الامور بشكل جيد.

- قرأت: والله الضمير هو الأهم.

- أبو عجيبة: الضمير مهناش يا ودي، ضمير شني !!!
- مولود: يا أبو عجيبة، الموضوع مش موضوع ضمير، انت تعرف ان الرواتب قليلة، واحده اذا لم نجد عملاً آخر فلن نستطيع ان ندني حياش ونتجوز، ولا حتى بعد عشرين سنة.
- علاء: بس هذا ليس مبرراً، مثلاً بإمكانك ان تداوم اوقات العمل وبعد ذلك يمكنك ان تعمل ما تشاء، بس انتوا متخنيها بالمرة، واحذكم يجي آخر الشهر ويريد راتبه كامل.
- مولود: هي الأمور ماشيه هيكي وبعدين انتوا غليش موجودين، البركة فيكم !!!
- العيب: احنه اهني حتى انتوا تتعلموا منا وبعدين تاخذوا مكاننا، مو تتركون كل شي بحجة وجود المغترين.
- صدقني، وبعدين يا اخي التعلم مكسب للشخص، يعني باجر عكبه، تضطرك الأيام لأن تسافر لأي مكان وان تعمل، ماذا ستفعل وانت لا تعرف أي شيء ولا تجيد أي عمل ولا حتى تعرف الدنيا شلون ماشيه، اخذنا احنا مثل، لو ما كانت معنا شهادتنا وخبرائنا وفي مثل هذا الظروف، لكننا قد متنا من الجوع لأن راس العوجيه عندنا اعوج بشكل ملفت للنظر، بس مو معنى هذا ان نستسلم، ولأنه لم نكن قادرين على كسر تلك الرأس فإن الهروب الى الخارج كان منفذا نتدفق من خلاله نحن واهلنا.
- أبو عجيبة: ما تعصبش يا استاذ.

- علاء: هذا بينا ننته بس.

- اديب: اكثر الطلبة عندي في سنة ثالثة دبلوم لا يعرفون حتى الكتابة بالعربي، واكتشفت ذلك مصانفة عندما كنت املي عليهم كتابة موضوع ما، استغربت لطلبهم مني الكتابة على السبورة ولأنني كنت متعبا لم اوافق على طلبهم ورحت املي عليهم حتى اكتشفت هذه المشكلة، تصور ان طالب عمره لا يقل عن خمسة عشر سنة او اكثر لا يجيد الكتابة، كيف يا ترى يكون مستقبل هذا الطالب.

- علاء: والمشكلة ان المناهج الليبية ممتازة، يعني هناك تناقضا كبيرا بين مستوى المنهج ومستوى الطالب، حتى عندنا في المعهد العالي، هناك طلبة لا يعرف مبادئ الرياضيات الأساسية.

- ابو عجيلة: كل هذا بسبب الغش، كنا على ايامنا نتحشم المعلم يشوفنه نلعب في الشارع او مش محضرين لواجب.. تو الطالب تضربه وما يعدلش عليك.

- علاء: الطالب بس يتخرج، اذا شافك مرة، حتى ما يكلك شلونك استاذ، يفاديك باسمك وكأنه انت صديقك وزميله بالدراسة.

- اديب: هناك طلبة جيّدون ولكنهم قليلون جدا جدا والبلاد بطبيعة الحال تعتمد على الطبقة الوسطى ما بين الأذكيا والمهملين، لهذا مستوى التعليم ضعيف وكل مفاصل الحياة استنادا لذلك تعاني من الألم، وانتم يا ابو عجيلة،

واعني بذلك اولياء الأمور، تؤدون دوراً رئيساً في ذلك،
مثلاً فترة الإمتحانات الماضية بينما كنا انا واستاذ محمد
خارج البيت عدنا بعد وقت المغرب فوجدنا ثلاثة من اللّيبين
يفترشون باب بيتنا ومعهم برّاد الشاهي والطيس، مما جعلنا
ندرك انهم منذ وقت وهم على هذا الحال، سلّمنا عليهم،
سأل احدهم: من يكون استاذ محمد؟

- استاذ محمد: نعم، تفضلوا.
- احدهم يتحدّث: استاذ انا جارك وهذا بيتي مقابل بيتك.
- استاذ محمد: اهلاً وسهلاً، تفضل.
- استاذ، ابني يدرس عندك في الثانويّة، في السنة الثالثة
وهذه السنة الأخيرة وانت تعرف.
- استاذ محمد: لكنني لا ادرس السنة الثالثة، انا ادرس
السنة الثانية فقط.
- بس انت مدرس رياضيات، ومقيّش فرق بين السنة الثانية
والثالثة.
- استاذ محمد: على العموم شنو المطلوب مني.
- غدوة امتحان رياضيات واحنا نبّو مساعدتك.
- استاذ محمد: يعني تريدني ان ادرس ابنك اليوم.
- لا يا استاذ معادش في وقت، احنه نبوك تساعد الولد
غدوة في الامتحان، ومتخافش، احنه نبوك تكون الصبح
موجود هنا في الحوش واحنه انجيبيك الاسئلة حتى
تخلّاهانه.

- استاذ محمد: بس هذه مهمة صعبة وانا رجل كبير، ولم افعل مثل ذلك في الثلاثين عاماً لي في التعليم في العراق.
- يا استاذ اخذ جيرانك وحك الجار على الجار، وتفضل كأنك تبني حازه، أي حازه اخذ حاضرين.
- استاذ محمد: اخي المشكلة مو بهذه البساطة وبعدين اني ما درست سنة ثالثة، وبعدين اني ما اقدر اخالف القوانين.
- بالنسبة للقوانين متخافش، ابن عمي يخدم في الأمن الشعبي ومش راح يصير عليك شي.
- الحبيب: وجدت استاذ محمد ينظر الي وهو متحير بم يرد فقد نفذت كل حيله، حينها بادرت للخروج من الموقف وقلت لهم، ماشي يا جماعة غدوه الصبح يصير خير.

بعد انصراف الجماعة

- استاذ محمد: كيف قلت لهم ذلك !.

ماذا سأفعل غداً، انا مستحيل ان اقوم بحل اسئلة الامتحان.

- ائيب: ومن قال لك انك ستحل لهم الاسئلة، غداً صباحاً اذهب الى زوارة وانا هنا اذا جاء احدهم سأقول له انك غير موجود، ألم تر انهم ما كانوا ليرحلوا بأي شكل من الأشكال ما لم تعطهم وعداً بتحقيق ما ارادوا.

- استاذ محمد: هسه اني منين اجثني هذه المشكلة، مو اخاف باجر اذا شافوني يسمعونى كلمة مو حلوه واني ما اكدر اتحمل.

- ائيب: عندما سيأتون غداً ولا يجدونك فإنهم سيذهبون للبحث عن مدرس آخر، وبمجرد انتهاء الامتحان سينسون الأمر.

نوري وسلمان يدخلون:

- السلام عليكم..

- الجميع: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

- علاء: شفت ابو عجيلة، يعني المشكلة منكم وبيكم.

- مولود: صدقني يا استاذ اننا لم نكن كذلك من قبل ولكن عندما جاءنا بعض ضعاف النفوس من المغذرين ، علمونا على العيش.

- ابو عجيلة: راهوا كلام مولود صحيح يا استاذ، وبعدين اكيد احنه المسبب الأول لكل هذه الاخطاء.

- مولود: توه خالص معادش في حل، وحتى اللي يني يدير حل يتعب ويخسر.
- ابراهيم: بس مدارس البنات اعتقد افضل من مدارس الاولاد.
- اديب: وكيف؟
- ابراهيم: يعني البنت الليبية تدرس وتحضر وإذا نجحت فإنها تنجح بذراعها، مع وجود حالات الغش إلا أنه ليست بالمستوى الذي اسمعه عنكم في مدارس الاولاد.
- مولود: البنت معندهاش ما تديره، من الحوش للمدرسة ومن المدرسة للحوش.
- فرات: يعني هذا اعتراف بالتقصير من قبل الطالب الليبي.
- علاء: وماذا يمنع الطالب الليبي ان يدرس ساعة واحدة اليوم.
- مولود: احده مشغولين بالزرع والخدمة، وبينني وبينكم يا جماعة راهو الكرايه ممنهاس فاينه، وبعدين اللي يتخرج ميلاكيش تعيين وحتى لو تعين شنو يعطوه من مرتب، هذا غيش تالكي الاولاد ميعدلوش على دروسهم، وبعدين المهم هو الواسطة، كلما كان معاك واسطة تحصل تعيين حتى لو ما تفهامش حاجة.
- سلمان: بس هذه فرصة ما دام الدولة تتعاقد مع مدرسين ومهندسين وكاتره، ليش ما تحاولوا ان تحسنوا من

مستواكم، وبعدين شوف العالم وين صار، تراه المعرفة
سلاح، ليس الهدف منها ان تجمع المال فقط، بل تتيح
لك الاطلاع على العالم وتعرف كيف تسير الأمور وبالتالي
ستعرف كيف تسير أمورك، يعني لا سامح الله ومرّيتوا
بظروف صعبة مثله ماذا كنتم ستفعلون؟
- أبو عجيّة: نموت من الجوع، اذا مرّينا بمثل ظروفكم.
- قرأت: ان شاء الله ما تشوفون مكروه.

ومرّت أيام الإجازة، ورحنا نتوقع وصول استاذ محمد،
إجازته تنتهي في ٨/٣٠ وهذا يعني انه يجب ان يعود قبل
هذا التاريخ.

في ليلة الخميس، وبينما نحن نائمون، كانت الساعة الثالثة
تقريباً عندما طرق استاذ محمد الباب.

- د. علي: (قريب استاذ محمد، طبيب يعمل في مستشفى
الجميل العام) كان يزورنا بعد خروجه من المستشفى
اوقات راحته، وكان يبيت في غرفة استاذ محمد.

بدأت تدب في البيت نوع من الحركة معها اصوات، كنت
مغمض العينين، إلا ان تلك الأصوات لفتت انتباهي
فاستيقظت وعيني لما تزل ترغب في التحاف جفونها، لكن
نسيم تلك الليلة الصيفية الهادئة وهو ينقل الى الأسماع
صوت استاذ محمد، والذي يعني وصول اخبار الأهل، من
كل ذلك لم اجد المجال للاستمرار بالنوم، نهضت مسرعاً
للترحيب به، عانقته وأنا اشم فيه رائحة العراق، رائحة
الكاظمية، وعبق الذكريات، وصوت أبي يأتيني عبر صوته
من خلال ما دار بينهما من لقاء، وما حوته تلك الرسالة
المطولة التي حملها لي من والدي.

اعطاني استاذ محمد حقيبة صغيرة، وجدت فيها سجادة
للصلاة ومسبحة، وصورة للعائلة، والرسالة التي ضمنها
لامية الطغرائي وهو يقول:-

فيم الإقامة بالزوراء لا سكني
 بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
 ان العلا حدثتني وهي صادقة
 فيما تحدثت ان العز في النمل
 بدت مانع استاذ محمد شاحبة، ربما لأنه متعب من السفر.
 تركناه ننام، والصباح رياح كما يقولون.
 - د. علي: اشوف عمي محمد مو علي بعضه.
 - اديب: انا ايضا لاحظت ذلك، ان شاء الله ما كوشى.
 - د. علي: عمي شلونها سفرتك ان شاء الله ارحلت، الاهل
 شلونهم، اتصلت بأهلي، شلونهم؟
 - استاذ محمد: كلهم زينين ويسلمون عليك وبعتولك هذه
 الرسائل.

- د. علي: اشو اشوفك تعبان، ان شاء الله ما كوشوه؟
 - استاذ محمد: ليش اكو بالعراق شي يريح، الناس متعبة
 جدا والفقر يزداد سنة بعد اخرى والقائد الملهم يبني
 بالقصور ويقيم الولائم للضحك على معاناتهم، انطلاقا من
 ان الأب القائد يدعو أبناء الشعب للإفطار في قصورهم،
 وشوارع بغداد مليئة بالشحاذين ومرضى المستشفيات الذين
 أطلقوا الى الشوارع، لأنه لا علاج لهم في المستشفى !!!،
 بغداد العاصمة مدينة مليئة بالأوساخ ورائحة الذفايات تملأ
 أزقة المناطق الشعبية، اشكال والوان من القهر والظروف
 الصعبة ممكن الواحد يشوف بالعراق، ومع كل هذه الالوان

لقائمة، فالمرتبة لا يزالون يصفقون لعظمته!!!
كل من يعرفني يحسبني لأنني أعيش خارج العراق،
تصور إلي أين وصلت الأمور، الكهرباء تنقطع كثيراً،
والماء إذا لم يكن شحيحاً فإنه غير صالح للشرب وقد أكدت
نذلك لجدة بيئت أن الماء في العراق لا يصلح حتى أن
يستعمل لمواد البناء.. الأمراض كثيرة والعلاج قليل، وربيك
وحده بيده الحل، أصبح الناس هناك عاجزين عن فعل أي
شيء تجاه حجم المعاناة التي تكبر يوماً بعد يوم، وضعفهم
الذي يكبر هو الآخر يوماً بعد يوم.

- يصل فرات معه ابراهيم وعلاء- الذين يسكن معهم:-

- الحمد لله على السلامة استاذ محمد.

- استاذ محمد: شكرا.

- اديب: تفضلوا يا جماعة، استريحوا.

- مساكم الله بالخير.

- الله بالخير.

- فرات: شلونها سفرتك استاذ محمد، شلونهم الأهل؟

- استاذ محمد: الحمد لله، لقد اتصلت باهلك عبر الهاتف،
وتحدثت إلي والدتك، التي تدعو لك بالموفقية وتقول لك انها
بخير، وتريد منك ان تهتم بأمورك، كما ان أخاك الأكبر
تحدث إلي، وأخبرته انني أحمل لهم رسالة منك، وقال انه
سينزور بغداد قريباً وسيمر علي لكي يأخذ الرسالة، كما انني
أخبرتهم ان يهينوا ما يريدون إرساله لك، لكن أخوك لم

يأت، علماً انني أوصيت الأهل في البيت ان يتابعوا
الموضوع عندما لا أكون موجوداً.

- فرات: العراق شلوننه استاذ ؟

- استاذ محمد: ما اكل اكثر من (الله يساعد العراقيين على
ما هم عليه)، كنت متوجها ذات يوم الى باب المعظم، وفي
سيارات الكاظمية ركب معي شخص ملائحه غير بعيدة
عني، انه الدكتور قيس لولا هذا التحول البادي عليه، إلا انه
عرفني بسرعة وسلم عليّ.

- اهلاً د. قيس، شلونك، شنو اخبارك.

- د. قيس: سمعت أنك في ليبيا ؟

- استاذ محمد: نعم وأنا الآن في اجازة.

- د. قيس: الله يوفقك، وشلونها ليبيا ؟

- استاذ محمد: ماشيه الأمور، وانت شنو اخبارك ان شاء
الله زين، والجامعة شلونها بعدك اداوم ؟

- د. قيس: يا جامعة الله يخليك، تركت الجامعة من مدة،
وانا الان اعمل في تجارة العبي الرجالية.

- استاذ محمد: غريبة !!

- د. قيس: لا تستغرب، الجوع كلشي يسوي.

- استاذ محمد: شلون، سولقي .

- د. قيس: من نوصل ان شاء الله.

- استاذ محمد: خليني اعزمك على استكان شاي في
المقهى .

- د. قيس: ماشي.
- استاذ محمد: أي ابو ستار، احبيلي القصة بالكامل.
- د. قيس: كما تعلم فأنا ادرس في جامعة الكوفة واسكن في بغداد، والراتب يا دوب يكفي مواصلات، وانا عندي عائلة زوجة وخمس اطفال، في يوم من الأيام لم اجد معي ما اكله لهم من فطور، لم اكن املك غير مبلغ بسيط، خرجت الصبح على اساس ان ازور صديق لي لأستلف منه، اتصلت به وواعدني في مقهى في الكاظمية، ذهبتُ وانا ناقد على الظروف الحفيرة التي امرُ بها، جاء صديقي وجلسنا في المقهى وبينما انا احذثه بما امرُ به من ظروف واذا برجل بالزي العربي (الدشداشة والعكال) كان يجلس وراءنا يسمع ما أقول، فاذا به يقوم من مكانه ويأتي إلينا:
 - السلام عليكم...
 - وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
- استاذ اذا تسمع لي فقد سمعت ما تحدثت به ودون ان اكون قاصدا التتصت عليكم، لكن حديثك شدني، يمكن تتخوفون من تطغلي بس اعلموا والله ما عندي غير الخير ان شاء الله.
- قال صديقي: تفضل حجي استريح.
- الحاج: يا استاذ اعرفك بنفسي، انا تاجر جملة في الشورجة، ابيع عبي رجالية واسمي ابو فهمي، وان شاء الله تعرفني اكثر من تزورني في المحل، انا اعرض عليك

المساعدة ، ولكي لا تفهمني غلط فأنا اعرض عليك العمل
معي في تجارتي .

- د. قيس: بارك الله فيك يا حاج، بس .

- الحاج: من غير بس، انت زورني للمحل وان شاء الله
نتفق، ولا تنسى يا دكتور تره العمل مو عيب .

- د. قيس: اعطاني الحاج عنوانه واستأذن للذهاب .

- استاذ محمد: وبعدين ؟

- د. قيس: والله ما اخفي عليك، صاحبي دايتي كم فلس،
وبقيت افكر بكلام الحجي، لم يكن الأمر سهلاً أول الأمر،

كما ان صديقي شجعني للتعرف على ما وراء ذلك، وفعلاً
وجدتني ذات يوم في الشورجة ابحث عن ابو فهمي.....

- الله يساعدك حجي .

- الحاج: اهلاً بالدكتور تفضل ..

- د. قيس: رحم الله والديك .

- الحاج: ان شاء الله فكرت بالموضوع .

- د. قيس: تقريبا، لكنني لا اعرف شيئاً في عملك .

- الحاج: الشغلة بسيطة بس تحتاج الى مهارة .

- د. قيس: شلون ؟

- الحاج: انا اعمل في العبي الرجالية، وانت اخذ زبائني

الذين اتعامل معهم، يعني راح انطيك بضاعة وانت تدور

بيها على المحلات في الكاظمية في سوق (الاستريادي)

وكل ما تبيع الكمية الي عندك تجيني نتحاسب، وانت بكيفك،

- وَأَنِّي قَاصِدٌ مِّمَّا عَدَدْتُكَ مَوْ أَكْثَرَ.
- د. قيس: والله ما ادري شكول، وشلون راح اشتغل هذه الشغلة.
- الحاج: هي البداية صعبة، وبعدين راح تعتاد عليها، وخصوصا من تشوف الذق، انت جرب، ما تخسر شي.
- استاذ محمد: وماذا قلت له؟
- د. قيس: والله يا ابو جعفر ما كان امامي ما افكر به بديلا عن العمل، اذا كانت الدكتوراه راح تموتني من الجوع فملازم، فكلت خلى اجرب اذا دبرتها فخير على خير، واذا ما دبرتها فأنا ما خسرت شي، وهي محاولة، والله بديت مع (ابو فهمي)، وكانت البداية صعبة فأنت تعرف ادني امضيت عمري بالدراسة والحياة الجامعية، فترددت كثيرا في البداية، ولكن الظروف تحكم، وشوويه شوويه مشيت الأمور وأنا الآن تاجر عبي وأموري الحمد لله احسن بهوايه.
- استاذ محمد: وماذا عن الجامعة؟
- د. قيس: الجامعة اروحها بين سطر وسطر، واعيب كثيرا واذا حاسبوني على الغياب، ما ادير لهم بال، لأنه ما عادت تفرق عندي شغلة الجامعة ما دام ما جايبة همها، وفي الأونة الاخيرة صرت لا اذهب الى الجامعة إلا في الشهر مرة، مو بدينه استاذ محمد، هاي انت مثلا رجل كبير السن متقاعد اخترت الغربية لتحافظ على نفسك واهلك من

الحاجة، وأنا لو كنت املك القدرة على السفر لفعلت لكن
سفر اساتذة الجامعة ممنوع كما تعلم وأنا لا املك قدرة
التحايل والتزوير من اجل السفر كما انني لا استطيع ترك
العائلة لوحدها، اولادي لا يزالون صغاراً، وفي وقتنا هذا
ما عاد أحد يبالي بغيره والناس معذوره، الظروف صعبة.
- استاذ محمد: الحمد لله على كل حال، المهم ان تكون
مرتاحاً.

- د. قيس: والله ما كوراحة في هذه الدنيا.
- استاذ محمد: مثل هاي المواقف هوايه بالعراق وهذا هو
حال العراقيين اليوم.
- اديب: الله يذقكم من اللي كان السبب.
- فرات: أي والله ...
- د. علي: الله يستر، اذا بقه الحال هالشكل فالأمور تسوء
أكثر.

- استاذ محمد: وليس هي الحكومة مهتمة.
- فرات: سنة ١٩٩٣ اتذكر عندما التقى صدام برؤساء
الجامعات، قال لهم: شكروني اذ استاذ الجامعة يشيل طاسة
اسمنت ورة الدوام.
- اديب: اتذكر ذلك، كنت حينها في المرحلة الثالثة في
الكلية، وبعدين شتوقع يكول !!! .
يمعود موزين احنه عايشين سالمين لحد الآن.
- د. علي: أي والله ولو شفوتوا اللي اتي شفقه عندما كنت

طبيباً مقيماً وطلبوا مني ذات ليلة ان اذهب مع سيارة القصر
لعلاج بعض المساجين، والله شيء يخوف، وانا ما صدقت
انني سأخرج من ذلك المكان سالماً، حتى انهم عندما
خرجت، طلبوا مني شيء من التخويف عدم التحدث بما
رأيت، وها انا ذا اليوم ولأول مرة ابوح بذلك امامكم،
ولبشاعة وضع المساجين لا يستطيع ان اصف لكم.
- استاذ محمد: الله يستر.

هكذا كانت تنتمي ساعات ارتقاء التعب العراقي في احضان القدر الذي ما كان لينظر يوماً صوب العراق نظرة ارتياح ، وكأن الوجد العراقي لا بد ان يستمر كجزء من مقايضته على البقاء في ارض احتضنت عشرات الأنبياء والأولياء بعدما لاقوا المشقة والتعب في ارض الكرب والقتل، واخذ هذا الموروث القهري يستمر مع العراقيين حتى في الخارج حيث الإغتراب واختلاف الأجواء والناس والطباع واللهجات واللغات، الا ان نبرة القهر العراقي باقية كما هي لا تكاد تستحيل فرحاً وان عاشته في الغربة لأنها ولدت ورضعت حليباً مرّاً من صدر الحياة المتعبة في العراق، كانت كل همومنا تنتقل معنا منذ خرجنا من العراق وحتى لحظات الاستقرار النسبي في بلاد الغربة، وكأن شاعر العراق الغريب الجواهري قد جمع تلك الاحاسيس بقوله:

نا عندي من الاسى جبل

يتمشى معي وينتقل
لم يكن هاجس الأهل والوطن يفارق وجودنا هناك،
الرسائل والمكالمات الهاتفية كانت تضيف على جمرة المعاناة العراقية اتقاداً وهي تحرق العراقيين عاماً بعد عام،
ويوماً بعد يوم، بطنين البطولات الفارغة والكلمات الجوفاء
والجوع الذي لا يرحم، والفقر الذي صار مضرِباً للامثال
في ارض الغنى والمال.. استاذ محمد تراوده هموم ومعاناة

اسرته التي تركها وحدها، وابنه الذي اتعبه عندما اختار ان يتصرف وحده في غياب ابيه ووافق مجموعة من المزورين ليغيروا قبوله من كلية الزراعة الى كلية الهندسة مقابل ٢٠٠ ألف دينار، والدته لا تعلم بالتفاصيل لأنه اخبرها ان الحاسبة المركزية فيها خطأ في التسيب وسيعيدون تصحيح الخطأ وانه يستحق الهندسة بدل الزراعة.. كان استاذ محمد فرحاً قبل سفره وهو يسمع اخبار ابنه الذي سيدرس في كلية الهندسة لأنه يقول عنه انه لا يدرس لكنه ذكي، ولا شك انه اجاد في الامتحانات.

عموماً كانت فرحة استاذ محمد بابنه الكبير لا توصف، أخذ يشتري ما يلزم من ملابس وغيرها ليقتنمها لابنه عندما يعود الى العراق في اجازته.. عاد استاذ محمد من السفر وهو لا يعلم بعد بما جرى....

الأخبار تنقل أحداث مسلسل القهر الذي يمارسه النظام مع امريكا ضد الناس المغلوبين على امرهم، وكلما اخذت وتيرة الحياة في العراق نمطاً معيناً وان كان سيئاً، راحت خطابات البطل تهز الدولة الكبرى وترعجها، فترد عليه بتهديد الناس وتدمير بعض الأبنية كنوع من التأديب أو كإشارة من مراحل تدمير البلاد.

- فرات: لا تكول دينته ولا تكول قسمته احنا ال ما عرفنا نعيش موش الدنيا ذلتته....

- ابيب: لقد تشأنا على الخوف والحزن او اجبرنا على هذه

لنشأة، فصار الحزن صفة طبيعية لا تتعارض مع الفرح ان صادفنا ذات يوم، حستني انني انكر اذا ما ضحكنا يوماً من اعماقنا ارى شفاه ابي تقرأ المعوذات، وامي تصلي على النبي وتنهانا عن الإستمرار خشية ان يلحقنا مكروه ضريبة هذه الضحكات البريئة.

- استاذ محمد: حزين ، مسكين جيلكم، لم تروا من الحياة غير وجهها السيء وجانبها الشاق المتعب.

- قرأت: هذا قدرنا، سيئاً كان او جيداً، لم نختره ، بل وجدنا أنفسنا تحت سياطه الموحجة.

- ابيب: لعلنا هنا في ليبيا نتنفس بعض النسيم العبق ونعيش حالة الهدوء والأمان التي طالما افتقدتها في العراق منذ ولدت وحتى ساعة خروجي ، لدرجة انني اعد تاريخ خروجي من العراق في شهر ١١/ ١٩٩٧ هو تاريخ ميلادي الحقيقي، فقد وجدت في ليبيا ما كنت ابكيه في العراق، فالمدرس او الموظف اصبح في وضع لا يحسد عليه بل وصار مثلاً للفقر والجوع في بلاد العلم والتراث الكبير !!! بينما هنا وجدنا الإحترام من قبل الناس ووجدنا المكانة الاجتماعية التي كنا نسمع عنها للمدرس او المهندس ، او الاستاذ، الذي لم ير القائد الضرورة في العراق حرجاً من حملته طاسة الإسمنت بعد الدوام !!!

- ناجح: هل تعلمون يا جماعة انني لأكثر من عام هنا في ليبيا كنت لا ازال اعيش هاجس الخوف الذي اصبح جزءاً

من كياني في العراق، فقد كنت أخشى الحديث مع الناس لأننا كنا نخاف أن نتحدث إلى أي شخص بأي حديث خشيّة أن يفسّر الكلام بأنه ضد الحكومة!، كنت احسب للكلام ألف حساب، ولكنني بمرور الوقت هنا وبعد أن تحسست الأمان والهدوء والاستقرار بدأت اخرج من تلك الدوامة المخيفة.

- فرات: كثيرون ضاعوا بسبب كلمة لا يقصدون منها ما فسرته خبرة الدولة وحكمائها، مات العديد، ولعل ما قاله نزار قباني مفيد هنا:-

في بلادتي ممكن ان يكتب المرء ضد الله لا ضد الحكومة.
- استاذ محمد: هنا انت مطالب باداء عمالك وطالما انت في هذا الاتجاه فلا بأس عليك، ونحن هنا اغراب والمثل يقول (يا غريب كون اديب)، وعلينا ان نحترم الفرصة التي قدمتها لنا الحكومة الليبية ايا كانت ابعادها، المهم انها فرصة انقذت الكثيرين منا.

- علاء: لا تنس يا استاذ اننا نمثل عمالة رخيصة الثمن وفي نفس الوقت كفاءة جيدة، لذا هم يقدروننا.
- استاذ محمد: انا لا ارى ذلك، واذا كنت ترى ذلك فما يجبرك على البقاء، لم لا تذهب الى بلد اخر.
- علاء: لا احد يعطيني الفرصة، ولا انا اقدر على صناعة مثل هذه الفرصة.

- استاذ محمد: اذن انت تعيش فرصة لا افضل منها لحد الان.

- علاء: طبعاً.....
- استاذ محمد: اذن لا داعي لهذه التبريرات.
- قرأت: هناك من يقتص الفرصة للوصول الى اوربا.
- اديب: الأمر لا يخلو من خطورة.
- علاء: نعم ولكنها تستحق المغامرة، أين عمي وصل الى بريطانيا من الاربن بواسطة جماعة مهريين، دفع مبلغ ٧٠٠٠ دولار، وكتب لي قبل فترة رسالة تفصيلية عن الرحلة وكيف وصل.
- استاذ محمد: واذا وصل، شئون يتصرف هناك؟
- علاء: بس يوصل تتحل المشاكل كلها.. هناك يسلم نفسه الى الشرطة وحين يسألونه ينكر انه يعرف اسم المهرب ويخفق له قصة مقنعة على ان يرتبها بشكل جيد لأنهم يستجوبونه أكثر من مرة واذا حصل اختلاف في القصص التي يرويها قد لا يحصل على الموافقة في اللجوء ويبقى في الكمب.
- ناجح: انها فكرة جيدة، يمكن من خلالها الوصول الى اوربا، وهناك يمكن ان نجد الاستقرار الحقيقي، الى متى تبقى من غير استقرار، هنا كل سنة تظهر اشاعة بأنهم سوف ينهون عقودنا... والى ان يطلع الخبر مو صحيح واحدنا يختار شيسوي اذا نهوله عقده.
- اديب: ولكن ليس كل من فكر وسلك هذا الدرب وصل، وان وصل ربما لم يوفق، وربما انها مسألة حظوظ.

- علاء: هي بالتأكيد كذلك، أنا شخصياً أعد العدة وانتظر الفرصة المناسبة لخوض هذه التجربة ، لأنني لا أفكر بالعودة إلى العراق ابداً ما دام سيادته هناك !

- ناجح: هناك طريق من المغرب ، هل سمعت به ؟

- علاء: نعم ، ان شاء الله عندما احصل على الإقامة هذا العام سأقدم على السفارة المغربية للحصول على الفيزا ومن المغرب سأتوجه إلى (سبنة ومليلة) ومنها اتسلسل إلى اسبانيا واسلم نفسي للأمم المتحدة.

- اديب: وبعدين ؟

- علاء: الأمم المتحدة تتبني الموضوع ويتم ترشيحي إلى أي بلد أوروبي، هذا ما فعله ابو سالم مصليح التلفزيونات هو وعائلته بعدما ساعده المغربي الذي كان يعمل معه في الورشة، حيث عمل له دعوة لزيارة المغرب ، ومن هناك اتم الرحلة إلى اسبانيا، وهو الآن في المانيا مع عائلته منذ شهرين تقريبا.

- د. علي: السلام عليكم

- و عليكم السلام.

- اديب: تعال نكتور استريح، هذا خوش موضوع.

- د. علي: خيرا ان شاء الله.

- اديب: اذا عندك نية تروح إلى اوربا فاسمع ما يقوله الجماعة.

- فرات: كم تكلف هذه العملية ؟

- علاء: ليس أكثر من الحصول على الفيزة الى المغرب
واجرة الوصول الى هناك، يعني تقريبا ليس أكثر من ٣٠٠
دولار، المهم ان تحصل على الإقامة الليبية، وان تكون
نافذة لمدة لا تقل عن ٦ اشهر لأن هذا الشرط مهم في
الحصول على الفيزة المغربية.

- د. علي: الوصول الى اوربا يعني عدم التفكير بالعودة
الى العراق ما دامت الأمور كما هي، وربما يطول الأمر.
- ناجح: وهذا ما نريده نحن، هل يعجبك الرجوع الى
العراق وهو في مثل ما هو عليه الآن.. يمكن بعد مئة سنة
ما تصير للعراق جاره ما دام صدام موجود وحتى لو راح
صدام سيرجع الأمور طبيعية نره الخراب اللي سووه
البعثيين بالعراق يرادله سنين طويلة حتى يتصلح هذا اذا
كان الناس بعدهم على ذبح الاخلاق العراقية القديمة الرائعة
لأننا هنا نسمع عن أشياء عجيبة وغريبة يسوّها العراقيين
بيناتهم.

- اديب: والله عندك حق، وبعدين ماكو امامنا فرص احسن
حتى نختار.

- فرات: هل يعني هذا انك مقتنع بالفكرة.
- اديب: مقتنع بفكرة الوصول الى اوربا، اما مسألة اللجوء
فلا زال اراها صعبة لحد الآن.
- علاء: وهل هناك طرق اخرى للوصول غير اللجوء
- اديب: مثلا عن طريق الدراسة.

- علاء: صعبة وما يقبلون بالعراقيين على الأغلب، فمثلاً أبو سالم الذي كنا نتحدث عنه قبل قليل، حصل على قبول دراسي هو وزوجته في رومانيا على أساس الهرب إلى المانيا من هناك، إلا أنهم اعيدوا إلى الاردن بعد وصولهم لمجرد أنهم عراقيين.

- د. علي: السبب مثلاً نحن، سابقاً كانت الأمور عادية نحصل على قبول دراسي ونسافر، ولكن بعد ان امسكوا بعدد من العراقيين يقومون باللجوء إلى المانيا من اراضيهم، اخذوا يتشددون في التعامل معهم، ويعيدون كل عراقي قائم اليهم وان كانت اجراءاته سليمة.

- فرات: يمكن تتحسن الأمور في العراق وما نحتاج لمثل هذه الطرق.

- علاء: هذا احتمال بعيد جداً، واذا بقينا ننتظر تحقيق هذا المستحيل فإننا سنخسر من اعمارنا الكثير، ولكن نعرف الإستقرار، وبعدئذ ليس من حقنا ان نعيش كباقي الناس، اعمارنا الآن تتجاوز الثلاثين ونحن ننتظر املاً عقيماً بعودة العراق إلى ما كان عليه من الأمن والراحة والإستقرار... وبعدئذ يا جماعة هذه خطة أمريكية، وصدام مو اكثر من موظف ينفذ اوامر سياده، واحده التي ندفع الثمن صدقوني.

- د. علي: انت على حق، نحن فقط من يدفع الثمن.

- فرات: ولكن هذا ليس تبريراً لنسيان الوطن.

- ناجح: ومن قال اننا اذا غشنا في اوربا سوف ننسى الوطن، سنبقى عراقيين وندافع عن قضيتنا ونحاول ان نرتقي باهلنا وبانفسنا إلى مستوى افضل.

- أديب: أنا لا أوافق الرأي القائل بأن الوطن هو الأرض،
أنا باعترافي أن الوطن هو الناس الذين نعيش معهم أكثر مما
هو الأرض.

- علاء: أنا معك في هذا التفسير، وقد حدثنا استاذ محمد
عن الناس في العراق وكيف اختلفت الموازين وتغيرت
الأمور.

- قرأت: نعم ولكن هذا بسبب الظروف التي يعيشونها، فلا
تتعللوا الحكم على الناس، اذا زال نظام صدام، سيعود
الناس الى ما كانوا عليه من خصال حميدة غير موجودة في
غير العراقي.

- ناجح: من مثا لا يتمنى ذلك ولكن قل لي متى، بعد ان
تتقضي اعمارنا.. أنا لا ارى ان سقوط صدام سيترك
الأمور كما هي لتعود الى الأحسن، بل ان رحيل الشر يترك
الكوارث وراءه، ان حصل هذا فمعناه اننا سنحتاج الى
عشرات اخرى من السنين كي يعود المجتمع الى ما كان
عليه، وهذا يعني اننا لن نصل الى ذلك اليوم ابدا..

ما دامت الأمور بهذا الشكل، فمن الأحسن ان نلأحك
ارواحنا وكل واحد يشوف دريه، مو هذا استاذ حمزة ضيع
صره وره القضية العربية والمجتمع العربي اشحصل غير
لوضع البأس التي هو بيه.

- أديب: بس هو مقتنع بوضعه، ويحترم افكاره.

..... في شهر رمضان

- اديب: الله كم كنت اعيش لحظات من الأمان وأنا في هذا الشهر على الرغم من حضوره في تلك الأجواء العراقية البائسة في تلك الفترة المظلمة .. رمضان يمثل بالنسبة لي عبادة ستر وسكينة تلفني لتنتشلي من كل تلك الخوف الذي ظل يرافقتني حتى خرجت من ارض البلاء!.....

- فرات: اجواء هذا الشهر الفضيل رائعة ، فهو شهر الله وفضل شهور العام ، فكيف لا يكون عظيماً بكل ما فيه .

- اديب: ولكن مع الأسف فإن جهل واذنية وجشع الإنسان جعلت من هذه النعمة ثقل كبيراً على كثير من الناس الفقراء ممن لا يملكون قوت يومهم ، يأتي شهر النعمة ليمارس من خلاله شـرنة من الناس الجاهلة لغة الضغط على كاهل الناس برفع اسعار المواد الغذائية والخضر والفاكهة وما ان ينتهي حتى يوشك اكثرهم على التذمر والضجر من هذا السلوك البشري المتحيون .

- فرات: يقول احد الشيوخ عندما زار الغرب :
(وجدت الاسلام ولم اجد المسلمين).

- د. علي: اخي .. الناس في اوربا لديهم انظمة يعملون بها ، اما نحن فقد رفضنا العمل بالاخلاق العظيمة التي جاء بها الاسلام ، لقد شاهدت ذات يوم في التلفزيون وقيل عيد رأس السنة تقريراً عن لندن يتناول العيد وكيف ان تجار بيع الهدايا والورود في لندن يبيعون بضاعتهم بسعر الكلفة، ولا

ازال انذكر جيداً تعليق مقنّم البرنامج وهو يقول (لكي يتمكن كل شخص من شراء هدية لمن يحب) .. عندنا تستغل المناسبات الجميلة مثل العيد لرفع اسعار البضائع لكي لا يفرح المسلم بالعيد الا وهو مهوم بالمصاريف، فيمرّ علينا شهر رمضان والعيد وكأنها روتين لا بدّ من تقبله مهما كانت الضريبة.

- اديب: كلامك صحيح.

- سلمان: اليس ذلك التاجر مسلماً؟

- فرات: ويزيد كان مسلماً عندما قتل الحسين عليه السلام.

- سلمان: يعني .. اقصد انه من المفروض ان يكون لدى كل واحد مثلاً حس انساني وطني.

- د. علي: لو كنّا كذلك لصرنا كما اراد الله لنا (خير امة اخرجت للناس).

- اديب: مشكلتنا يا جماعة ان تغييراً كبيراً حصل في الفهم الحقيقي للإسلام عندما رسمت ملامح الاسلام السياسي الجديد فخرقت بذلك الكثير من تلك الاخلاق العظيمة التي ارساها هذا الدين العظيم... صار بالإمكان ان تكذب وتصلّي.. صار من الممكن ان تشرب الخمر وتصلّي، وتاريخنا السيء مليء بمثل هذه القصص السيئة.. صار بالإمكان ان تعمل المرأة راقصة في الملهى بعد نهار من الصوم

- فرات: اتركوا الموضوع يا جماعة ودعونا نتهياً للذهاب

- إلى بيت جارنا مبروك، فقد دعانا للافطار عنده هذا اليوم.
- مبروك: (مدرس مع استاذ محمد في المدرسة): اهلاً بالأساتذة تفضلوا، زارتنا البركة.
 - استاذ محمد: الله يبارك فيك.
 - مبروك: شني حالكم يا جماعة، ان شاء الله لا بأس.
 - قرأت: الحمد لله بخير.
 - مبروك: شني حالك استاذ محمد، وشني حال الذر معاك في المدرسة.
 - استاذ محمد: ماشية الأمور ان شاء الله.
 - مبروك: تبوا تتوضوا يا اساتذة، راهو كريب يأذن.
 - أديب: اسمح لي ان استختم الحمام.
 - مبروك: تفضل يا استاذ.
 - هيا يا جماعة تفضلوا اشربوا الحليب والباسطي، لكي نصلي الجماعة.
 - استاذ محمد تصلي انت بنا جماعة، فأنت اكبرنا !!!
 - استاذ محمد: لا، انت صل بنا.
 - أديب: هيا يا جماعة، هيا يا مبروك تقدم انت.
 - بعد الصلاة... جاء مبروك بمائدة الافطار المكونة من (الشوربة) وهي تتوسط انواع الطعام الأخرى وهي عبارة عن شوربة حارة جدا اذ انهم يكثر من القفل في الأكل، والشوربة مكونة من اللحم ونوع من الحبوب. وهناك الملفوف، والعصيان والطاجين والطعمية والسلطة

والخبز، والمائدة اللببية تتميز بوجود اكالات رئيسية مثل
(الكسكسي) وهو البرغل مع اللحم والبطاطا والحمص، او
(البكبة) وهي مرقفة المكرونة باللحم والفلفل، او (البازين)
وهي عجينة من الشعير وسط وعاء به مرق وقطع من اللحم
حول العجينة.

- مبروك: ما رأيكم يا جماعة بالأكل اللببي ؟

- فرات: لذيذ.

- مبروك: استاذ اديب اراك لا تأكل جيدا ؟

- اديب: في الحقيقة ان الأكل الحار يؤذي معدتي وانا لا
أحتمله.

- مبروك: لماذا لم تخبرني لكي اوصيهم بان يعملوا الأكل
بدون حار.

- اديب: بارك الله فيك يا مبروك، لاداعي لهذا التعب يكفي
مبادرتك الحلوة بدعوتنا.

- مبروك: ولو يا استاذ انتوا ضيوفونا، وتفضلوا أي حاجة
تبوها احنا مستعدين.

- الجميع: بارك الله فيك.

- مبروك: باهي حدثونا عن رمضان عنكم يا استاذ محمد.

- استاذ محمد: رمضان في العراق، أه لو تعلم كم هو
جميل، وكم اشعر الآن بالوحدة بعدما كنت اجلس مع عائلتي
على مائدة الإفطار، يجمعنا الخوف والجوع ونحن نرقب
مدفع الإفطار، ان لرمضان اجواء خاصة وقت الحصار

ووقت الجوع والهلع والارهاب البعثي، فبالإضافة الى فئة الحيلة وندرة الرزق، هناك ارهاب ورعب يحيطنا من كل مكان، كان ولدي يخرج مع اصدقائه، فاذا تأخر الى الليل يصنقر وجهي ويدب في نفسي الخوف والقلق المستمر حتى يطرق الباب، يعني تقريبا لم نكن نشعر بنكهة ذلك الشهر الفضيل ومع ذلك كنا نراه منقذا ومنقذا مما نحن فيه من الانزعاج المستمر بسبب قسوة الحياة، على العموم، لكي لا يأخذنا الحديث بعيدا عن مائدة رمضان العراقية فإننا يا مبروك ندفن في صناع الأكلات، فقد لاحظت هنا انكم تميزون بأكلات رئيسية مثل البازين والكسكسي والمكرونة، وعندنا التمن والمرق من الوجبات الرئيسية، واعني الرز.

- مبروك: ها.. نحن لا نستخدمه كثيرا.

- استاذ محمد: وعندنا الدولة وهي مثل هذا الملفوف، وعندنا الشورية، ولكن لا نستعمل الحار مثلكم، وهناك الكبة، وتشريب اللحم او الدجاج وغيرها وغيرها، يعني المائدة العراقية متنوعة اكثر مما هي عنكم.

- مبروك: يعني ان شاء الله عندما تأتي بالعائلة الى هنا سنتذوق الطعام العراقي...

- استاذ محمد: والله ما ادري يمكن أي ويمكن لا، فاحتمال ان انهي عقدي واعود الى العراق هذا العام.

- مبروك: لا يارجل ليش؟

- استاذ محمد: لقد تعبت يا مبروك، فانا رجل كبير السن وصحتي لا تحتمل، كما ان عندي اولاد في المدرسة وابنتي الكبيرة ستخرج من الجامعة العام القادم، فليس من السهل ان اجلبهم كلهم الى هنا.

- مبروك: جيبهم بقروا هنا، في مدارس وجامعات.

- استاذ محمد: ولكن الى متى يمكن ان ابقي لكي افعل كل هذا.

- مبروك: ابقي الى الأبد شني عندك غادي في العراق، لظروف مش كويسة ولما تتعطل الأمور نكد ترجع.

- استاذ محمد: في الحقيقة ان الأهل في العراق طلبوا مني ان ادرس الموضوع وهم متذمرون من بقاؤنا بعيدين عن بعضنا، لكن المشكلة انني لا اجد في نفسي القدرة على التحمل اكثر، كما ان وجود العائلة معي هنا، يعني بالنسبة لي اعباء كبيرة، وبيتنا هناك لمن اتركه، وابني الذي يدرس الآن في الجامعة وابني الصغير في المدرسة، ان الأمر لا يخلو من مآعب انا لا اقوى على تحملها لذا ترائي متحيراً في الأمر، كما انهم هناك قد لا يقدرّون ما نعانيه نحن هنا ويتصوّرون الأمر سهلاً بسيطاً.

- مبروك: تفضلوا الشاهي.

- اديب: تسلّم، بارك الله فيك.

- استاذ محمد: يا اخي ان شاء الله دايمة.

- مبروك: وما هي المعاناة التي يمكنك ان تعيشها هنا يا

استاذ؟

- استاذ محمد: ربما انت وبحكم كونك لم تتغرب لا يمكنك ان تقدر مانحن فيه او مانعائيه وان حدثتكَ عنها فقد تبدو لك امورا يسهل التعامل معها، وانها لا تستحق ان نسميها معاناة.

- مبروك: والله لا ادري ما اقول، غير انني ارجو ان تعتبروا انفسكم بين اهلكم وفي بلادكم، واي شيء تحتاجونه فنحن مستعدون ولا تتصورا انكم غرباء، صحيح اننا نطلق عليكم مصطلح اجانب ولكن هذا المصطلح نطقه على كل شخص غير ليبي، ثم اننا احببناكم وخصوصا انتم العراقيون، فقد علمتمونا الكثير، كما انكم تعملون باخلاص لتعليم ابنائنا في المدراس والمعاهد والجامعات.

- اديب: بارك الله فيك يا مبروك وشكرا على هذا الكلام.
- استاذ محمد: ان شاء الله دايمة، ورمضان كريم عليكم، ويارب ان شاء الله العام القادم على جبل عرفة.. تصبح على خير.

- مبروك: مازال الحال يا جماعة خليككم مكرمزين.

- استاذ محمد: مشكور يا مبروك.

- مبروك: ياسيدي اهلا بكم وانستونا والبيت بينكم تفضلوا متى ما تبوا، وليدكم سعيدة.

- استاذ محمد: اديب.
- اديب: نعم استاذ.
- استاذ محمد: لقد وصلتني رسالة من البيت وهم لا يزالون يلحون علي في امر قدومهم الى هنا..
- ارجو منك ان تكتب اليهم، فهم يقدرونك، ارجو ان توضح لهم ما نعانيه لأنهم، أولاً فكرة السفر قد صرفتهم عن الاستماع لي او تصديقي، عندما اخبرهم انني غير مرتاح، كما انني اعلم ان احداً ما حدثهم بشكل يثير حماسهم للقدوم الى هنا.
- اديب: كما تحب استاذ محمد، سأوضح لهم ما تريد.

.....الدياب يطرق.....

- اديب: اهلا لكتور علي، تفضل.
- د. علي: ثلوثكم وثلوثه عني محمد.
- سلام عليكم، الله يساعدك عمي.
- استاذ محمد: اهلا علي، تفضل.. علي اريد اروح وياك لمستشفى اعمال فحوصات.
- د. علي: خيرا ان شاء الله، هل تشكو من شيء؟
- استاذ محمد: اشعر بالتعب الشديد، وفي نفس الوقت لا اتمكن من النوم رغم حاجتي اليه، ان عفوت فإني استيقظ بسرعة.
- د. علي: هل هناك ما يفتكك؟ هل الال في العراق بخير؟

هل وصلتكم اخبار من احدهم ؟

- استاذ محمد: وصلتني رسالة منهم، يريدون المجيء الى هنا، وقد اتصلت بهم واخبرتهم انني سأنهي عقدي هذا العام واعد، لكنهم يريدون مني البقاء وان افكر باستصحابهم الى هنا.

- د. علي: يبدو ان هذا ماقلقتك، لم لا تحاول ان تشرح لهم.
- استاذ محمد: فعلت، كما طلبت من اديب ان يكتب لهم، فلعلم لا يصنقون ما اقول ويعتبرونني لا اريد ذلك رغبة مني.

- د. علي: لا، عني المسألة صعبة، وخصوصا انت ما تكدر، صحتك ما تسامع.

- استاذ محمد: غير يفهمون هذا الكلام!!.

- د. علي: هذه بسيطة لا تكدر صفو بالك، صحتك اهم، وان شاء الله غدا صباحاً اذهب الى الدوام، ان احببت ان تأتي معي لا عمل لك التكاليل والخصوصيات اللازمة، وان تطلب الأمر تدخل طبيب مختص فإنه موجود معنا في المستشفى.
- استاذ محمد: غدا صباحاً لن اتمكن لأنه عندي دروس، عندما انهي عملي سأتي اليك.

- د. علي: سأكون بانتظارك.

- د. علي: اديب اريدك لحظة على انفراد.

- اديب: حاضر.

- د. علي: عني حالته النفسية غير جيدة وانا اخشى عليه.

- اديب: انا لاحظت ذلك وسألته عما يمكن ان يكون قد كدر صفو بآله، الا انه لم يقل شيئا.

- د. علي: اعتقد ان الحاج اهله عليه بالمجيء قد اتعب نفسه، عموماً سيأتي الى المستشفى غداً وسأخبر الطبيب هناك ليصرف له حبوب مهدئة تريحه بعض الشيء وتمكنه من النوم.

- اديب: حسنا تفعل... كما ان نهاية العام الدراسي قريبة وعند سفره سيرتاح كثيراً، انه متعلق بأبنائه واهله كثيراً.

- د. علي: لا اظنه يستطيع الإستمرار الى نهاية العام، عمي وانا اعرفه، فهو حساس جداً وقلق كثيراً، هذا طبيعه مذكنا في العراق، واذا اقتضى الأمر فربما نستحصل له موافقة لنسفر الى العراق ونتولى نحن إجراءات الإنهاء.

- اديب: احتمال يتحسن على الحبوب وبمرور الوقت قد يستقر حاله، ربما هي ازمة طارئة نتيجة ضغط كبير يعيشه هذه الأيام، ونحن معه سنساعده على تجاوز الازمة ان شاء الله.

- د. علي: انا قلت له ان يأتي للسكن معي في المستشفى وسيكون تحت عنايتي ان طرأ طارئ لا سامح الله.

- اديب: ان شاء الله بسيطة، ولا تحتاج الى كل هذه الإجراءات.

- د. علي: ان شاء الله.

..... ومُرُّ أكثر من شهر

- أستاذ محمد: سأقدّم طلب إنهاء هذا العام واعدود إلى العراق.

- أديب: والله أستاذ محمد أنت أعرف بوضعك، بالنسبة لي سأسافر إلى سوريا هذا الصيف حيث أقضي بعض الوقت مع ابن عمّي محمود، فقد كتب لي رسالة وعلمت منها أنه هناك منذ مدة وكتب لي أنه أخبرته أنني ربّما أزوره في الصيف وقد رحّب كثيرا، كما أنني منذ مجيئي إلى ليبيا لم أغادرها في أي إجازة، وهذه فرصة طيبة لتغيير الجو، لأنني في الحقيقة لا أفكر بالعودة إلى العراق أبدا هذه الفترة.

- أستاذ محمد: ليس من صالحكم العودة إلى العراق، نحن كبار السن لا أحد يظلمنا في شيء، أمّا أنتم فالأمر مختلف و(حرامات لا تضيعون مستقبلكم).

- أديب: في أقرب فرصة لي سأذهب إلى طرابلس لأقدم طلب إلى السفارة السورية، فقد علمت أن الموافقة قد تأخذ شهرين لذا عليّ أن أقدم خلال هذه الفترة لكي أتهدأ، فإن حصلت الموافقة، قدّمت طلباً للحصول على إجازة للسفر.

- أستاذ محمد: خوش فرصة وعندما تذهب أخبرني كي أذهب معك إلى طرابلس، فأنا بحاجة إلى بعض التغيير.

- أديب: وهل أخبرت الأهل أنك ستعود نهائيا هذا العام؟

- أستاذ محمد: نعم كتبت لهم واتصلت بهم قبل أيام.

- أديب: وماذا كان ردّهم؟

- استاذ محمد: بعد ان علموا بالتعب الذي اصابني، قالوا لي افعل ما تراه مناسباً ونحن لا نريد إلا راحتك.
- اديب: هذا ممتاز، والحمد لله على كل حال.
- يعني ان قرار الإنهاء لا رجعة عنه، الا تفكر بالإجازة مثل كل مرة؟
- استاذ محمد: لا، لقد عزمتم على الإنهاء.
- اديب: اذن ستتركنا .
- استاذ محمد: هذا حال الدنيا، وانت فكر بالزواج والاستقرار وان اردت مساعدتي فأنا حاضر لأن افتم لك ما من شأنه ان يبسر لك الأمر.
- اديب: اشكرك جداً، ان ما بيننا يفوق مساحة الشكر والإمتنان فقد جمعنا علاقة رائعة فيها من النقاء وحسن النية الشيء الكثير، وهذا ما لن انساه ابداً.
- استاذ محمد: سيكون عليّ هنا معك، ومعك مجموعة طيبة من العراقيين، سلمان وأدم وفرات وبلال.
- اديب: فعلاً انهم كما تقول ..
- علمت ان سلمان وسيد رائد وسيد حسين يريدون ان يرسلوا عوائلهم الى العراق، ان حصل ذلك فسنسكن مع بعض ان شاء الله.
- استاذ محمد: هذا جيد لأنه ليس من مصلحتك البقاء وحدك في البيت وخصوصاً ان استاذ قاسم ايضاً ماشي هذا العام، ويبقى استاذ طه، واكيد انه سيجد له مكاناً مع

جما عنه .

لو ان فرات سكن معك ...

- العيب: انت تعلم ان فرات الآن يعمل في (وزارة) والسكن هناك افضل له من السكن هنا، لأن ذلك يكلفه اجور الذهاب والإياب وهو في غنى عن هذه المصاريف.
- استاذ محمد: صحيح.

اتمنى ان ييسر الله، وتنتهي اجراءات الإنهاء سريعاً، المشكلة الأخرى ان الحجز سيصبح صعباً مع اقتراب موعد الإجازة، فكل المغتربين ما بين انتهاء وما بين إجازة، وأنا لم يعد عندي من الصبر الكثير لتحمل هذا التأخير.

- العيب: لماذا لا تقدم على حجز مبذئي في مكتب الخطوط.
- استاذ محمد: لا قيمة لهذا الحجز ما لم يكن مؤكداً، وأنا لا أستطيع ان اؤكد الحجز قبل ان اتم كل الاجراءات.

- العيب: التأخير مومشكلة، اسبوع او اثنين، لأنك خلاص ماشي نهائي، بس المشكلة خاف اني ما احصل حجز وتنتهي مدة الإجازة، وما اقدر اسافر، وأنا الآن بحاجة ماسة للسفر، فقد ملكت، وربما ان وجدت الأمور جيدة في سوريا فسأبقى هناك، وسأكلف فرات بمتابعة الإجراءات ان انا بعثت له من سوريا اخبره بأن يقدم لي طلب الإنهاء.

- استاذ محمد: دع كل الأمور امامك وتصرف بما تراه مناسباً لك ولا تجازف .. احسبها جيداً.

- ادیب: اکید، سآذهب اول الأمر الى سوريا سائحا،
وسأرى ابن عمى هناك، وامضى معه بعض الوقت ثم
احكم على الأمور من خلاله ، فهو منذ سنتين في سوريا
وسأتمكن من اخذ فكرة جيدة عن الوضع هناك وبعدها
أقرر.

مرت الأيام سريعاً واقترب موعد سفر استاذ محمد ، كان ذلك في ٢٤ / ٨ / ٢٠٠٠ ، وقرر المبيت في زوارة لكي يخرج مع الفجر متوجهاً الى المطار ، كان الدكتور عليّ معه ليرافقه الى المطار ، بينما بقي اديب لأن موعد سفره الى سوريا هو يوم ٢٥ / ٨ / ٢٠٠٠ .

- اديب: رافقني فرات وعماد الى المطار (عماد: مهندس كهرباء في المعهد المتوسط في الجميل) ، كلفت فرات بإتمام كل الترتيبات اللازمة ان رأيت عدم العودة الى ليبيا ، كما انني اودعت كل اغراض البيت عند (مبروك) صاحب الدار ، وبقي له في ذمتي ايجار ثلاثة اشهر ، واخبرته انني لو لم اعد فأن فرات هو المسؤول بعدي ، وهو من سيعطيه الايجارات ، وطلبت من مبروك ان يسلم فرات الحاجيات التي لي ، وحوّلت فرات التصرف بها .

كانت هذه المرة الأولى التي اركب فيها الطائرة ، وبعد اجراءات التأكد من الجوازات ووزن الحوائط ، طلب اليّ التوجه الى الداخل حيث التهيؤ لصعود الطائرة ، ودعت فرات وعماد ، وتوكلت على الله....

احساس جميل مخيف وغريب في نفس الوقت وانا اركب الطائرة للمرة الأولى ، كان الطاقم ليبيا ، والقبطان ايضاً كان ليبيا.... لكن في الحقيقة كانت رحلة ممتازة ، وقد علمت ان اصعب ما في الرحلة هو لحظات الاقلاع ولحظات الهبوط ،

كان القبطان موفقاً جداً في الإقلاع والهبوط وما كنت لأصدق أنني داخل طائرة وإنما تحلق بي على ارتفاع شاهق، وما إن استقر مسير الطائرة حتى أخذت المضيفات بتوزيع الطعام علينا.. كانت وجبة متنوعة لذيذة.. استغرقت الرحلة مدة ثلاث ساعات وربع تقريباً، أخبرونا بعدها أننا نحلق فوق الأجواء السورية وأنا سنبهط على أرض المطار السوري بعد قليل.. شيئاً فشيئاً أخذت الطائرة تقرب من الأرض، توزع المضيفون والمضيفات على طول الطائرة وطلبوا من الجميع التزام المقاعد وشد الأحزمة، وبعد أن مروا على الجميع وتأكدوا من أن الأمور على ما يرام، توجهوا إلى أماكنهم، وبدأت عملية الهبوط، وما إن لامست عجلات الطائرة أرض المطار وأخذت تسير عليها حتى أخذ الركاب بالتصفيق لنجاح الرحلة.

في مطار دمشق الدولي كان للعراقيين مكان خاص يمرون منه، وهو مكتب الأمن في المطار.. طلبوا مني أن أعطيهم الموافقة التي حصلت عليها من السفارة السورية في ليبيا، وبعد قليل زودوني بكتاب معنون إلى مكتب الأمن في ساحة البعث في العاصمة دمشق.

خرجت إلى صالة الإنتظار اتزقبت وصول محمود فقد أخبرته بالفاكس عن يوم قدومي وموعد الرحلة، وساعة الوصول.. في صالة الإنتظار احسست بجو جديد يختلف عن ذلك الجو الذي عشته لأكثر من سنتين في ليبيا، حتى

انني لم استوعب في اللحظات الاولى ان ثلاث ساعات
نقلتني من مكان الى آخر . . تأخر قدوم محمود وخشيت
انه لم يستلم الفاكس او ان شيئاً ما اخره، فرأيت ان اصرف
مبلغ ١٠٠ دولار بالعملة السورية وكان وقتها يعادل ٥٢٠٠
ليرة تقريباً. ورأيت ان ابقى الى وقت متأخر وبعدها
اتصرف، وبينما ان اترقب باب الدخول وقد مرّ العديد من
الناس وليس من بينهم محمود وطال بي الوقت حتى مللت،
لاح لي محمود وهو يدخل مسرعاً، نهضت وهو يتقدم
مسرعاً نحوي وقد رأيي وتعاثنا طويلاً بعد طول غياب
فصل بيننا وكثرة مواجع تفرقنا عليها، واحزان ترسم في
عيون كل منا، وفرح مختبئ ممثليء خجلاً يرسم على
وجوهنا، كان مع محمود اشخاص رأيتهم جاءوا معه،
احدهم اخذ يلتقط لنا الصور ونحن في غمرة اللقاء لا نشعر
بما حولنا . . انطلقنا من ليبيا صباحاً ووصلنا ظهراً وما بين
اجراءات الأمن والتفتيش وما الى ذلك وبين تأخير محمود
كنا قد دخلنا الساعة الخامسة او السادسة عصراً، توجهنا
الى حيث يسكن محمود وجماعته، هناك ارتحت قليلاً،
وتناولت العشاء، وطلبت من محمود ان يأخذني لزيارة
السيدة زينب عليها السلام.

كانت لحظات رائعة وانا اهم بالدخول على حضرة السيدة
زينب عليها السلام ، فقد مضى عليّ وقت طويل منذ تركت
العراق حيث العتبات المقدسة . . عند ضريحها اخذت

دموعي تنهمر وبكيت.. بكيت حتى شعرت انني اغتسل من
داخلني بهذه الدموع.. صليت وجلست هناك بعض الوقت ثم
غادرنا حيث اخذ الليل يقترب، وعلينا العودة الى منطقة
(نهر عيشة) حيث يسكن محمود.

يشارك محمود السكن مجموعة من العراقيين عرفت اثنين
منهم فهم يقيمون لمحمود ويعرفهم في العراق وكانوا مع
محمود في المطار، اما البقية فقد تعرف اليهم في سوريا،
كان مع محمود شاب مسكين ضعيف النظر يعمل على
(بسطة) تعود لمحمود، عرفت فيما بعد ان هذا
الشاب قد تسلل من الاردن الى سوريا سرّاً.

بعد مرور اسبوع على وجودي معهم، وبينما كنت لا ازال
في البيت مع حسن - شاب عراقي يسكن مع محمود - وهو
في سوريا منذ عام وينتظر ان يسهل له اخوه في كندا طريق
الوصول، وكان اخوه يبحث له بالمال بين الحين والآخر
وبينما نحن في البيت وحوالي الساعة العاشرة او الحادية
عشرة صباحاً طرقت الباب، ذهب حسن لفتح الباب واذا
بمجموعة مدنيين مسلحين ومعهم تلك الشاب المسكين
الضعيف النظر مكتوف اليدين.

لم نفهم الموضوع.. طلبوا منا جوازاتنا.. وبعد التأكد منها
اعادوها لنا، ثم هرع احدهم لضرب تلك البائس على بطنه
وهو يستصرخهم، وقد نكس على دولاب صغير، كسره
احدهم ليخرج منه جوازاً ممزقاً يعود لذلك المتعوس،

ارادوا ان يفتشوا الشقة لكنهم اكتفوا بذلك وخرجوا.
 سألهم حسن من تكونون ؟ فقالوا:
 - نحن من يتتبع المخربين امثال هذا (العرص)، نحن من
 مديرية الأمن .
 - حسن: واين ستأخذونه ؟
 - سنحقق معه.
 كان الأمر مربعاً بالنسبة لي وما ان عاد محمود حلي
 اخبرته انني لن ابقى معهم في الشقة، لقد خفت كثيراً
 وتوقعت ان يعودوا الينا ليأخذوننا الى التحقيق وانا لاذنب
 لي، ولا اعرف عن الأمر شيئاً، وقد افقد حلي في ليبيا
 بمجرد التأخير وتجاوز مدة الإجازة.
 حاول محمود تهدئتي:
 - الأمر لا يعنيك وانا سنكلف الحاج بدر وهو عراقي يقيم
 منذ زمن طويل هنا، وله علاقات واسعة.. على العموم
 ستبيت الليلة عند غسان صديقي.
 ذهبت للمبيت تلك الليلة عند غسان، وفي الصباح رأيت ان
 اذهب الى الخطوط الجوية لأقدم موعد السفر، بعد ان مللت
 من وجودي في تلك الأجواء السيئة.. وبعد تلك الحادثة
 المزعجة ولقرب موعد سفري فقد خطط محمود لسفرة الى
 منطقة (صيد نايا) وكانت رحلة ممتعة.
 في ليلة السفر عدت للمبيت مع محمود في شقته، وفي
 الصباح توجه محمود معي الى المطار وكان الحاج حازم

وأبو قاسم وهما من أقرباء محمود معنا في الدوديع.
في المطار وبعد أن اقترب موعد التوجه إلى الداخل حيث
الصعود إلى الطائرة، ودعت الجماعة وأنا كلي شوق للعودة
إلى ليبيا بعد أن رأيت ما رأيت في سوريا، فأوضح
العراقيين في سوريا لا تسر أبداً، والمشكلة أن أكثر
العراقيين هناك أمّا ينتظر طريقاً للهروب إلى أوروبا، وأمّا هو
من الكسبة، أو من الهاربين من نظام صدام سراً فلا وثائق
لديه أو جواز، ويخشون هناك بأخذ الأحزاب الدينية أو
السياسية المعارضة لنظام البعث العراقي، أجواء مشحونة
بالخوف والقلق.

حالات التشنج على أشدها.. كل ذلك جعلني أقدر النعمة
العظيمة التي كنت عليها في ليبيا، فقد كنت أعيش نعيماً
بحسبني عليه كثيرون في سوريا أو في الأردن...
ركبت الطائرة وأنا أتلهف للعودة إلى وطني الثاني الذي
أكرمني ووجدت فيه الأمان والأطمئنان والرزق، البلد الذي
أعطاني مالم أجده في وطني، والمكان الذي اعتقدت أنني
سأنتقل إلى أفضل منه خلال رحلتي، وإذا بي أكتشف
العكس.

وصلت مطار طرابلس العالمي الساعة التاسعة ليلاً،
استأجرت سيارة تاكسي إلى كراج سيارات زوارة، ومن
هناك تمكنت من اللحاق بأخر سيارة ستنتقل إلى زوارة،
ووصلت إلى زوارة الساعة الحادية عشرة تقريباً، توجهت

- إلى بيت فرات...
 - فرات: الحمد لله على سلامتك، (الك وحشة والله)، رغم
 أنك لم تغيب أكثر من أسبوعين.
 - أديب: سأحدثك عن كل شيء فأنا الآن متعب.
 - فرات: سنخرج لننعمشي فلا يوجد لدينا الآن ما تأكله.
 - أديب: ماشي الحال.
 - فرات: تبعدو لي متغيرا نوعا ما، واطنك لم تروح في
 سفرك، اليس كذلك؟
 - أديب: يا فرات، لقد اكتشفت أنني كنت في نعيم، وها أنا
 عائد لأتمسك به.

عندما تصدأ المبادئ وتتقلب المشاعر، ويتوقف قطار
العمر لينزل الضمير عند محطة الماضي البعيد، ويضيع
بين تلك الذكريات، وسط الأزهار والحشائش الخضراء،
وبين أوراق الكتب القديمة حياً في أجساد الجيل الماضي
المتعب الذي أزهقته السنوات المتعاقبة، فأضحى الباقون
منه أشخاصاً في أرذل العمر يمررون أوقاتهم في المقهى
بين (استكان الشاي) وصوت ناظم الغزالي، وام كلثوم،
ويأتي جيل جديد يحمل بطاقات الزمن الحالي حيث لا
تتصافح الأكف في أغلب الأحيان بهدف الإشتياق أو التقدير
المنزّه، بل من أجل المصالح.

عندما يصبح ذلك عنوان الزمن القادم فتمة أشياء تتغير..
تتغير ملامح الأشخاص.. تتغير التوجهات والتحرّكات..
يتغير عطر الزهور ولون الحشائش.. وشكل البساتين
وصوت فيروز.. تتساقط قطرات المطر مالحه شاحبة
اللون غير منتظمة الشكل.. وتغلق الكثير من النوافذ التي
يطل منها الفقراء إلى السماء.. ويصبح السلام حلماً في
زمن التقنيات الحديثة، واغنية قديمة بالأبيض والأسود لا
يرغبها المستمعون الراضخون تحت ضغط اغنيات عرض
الازياء والاجسام، والأصوات المجردة من الشعاعية أو
التي تصدح بشيء معتب منها، إلا مآندر، أو يصبح السلام
من ضمن عبوات الرصاص التي تقتل آلاف الأبرياء، أو
يصبح السلام أملاً وردياً مطرراً بالأمان في القصص

والقصائد، وفي اصنوات الأدباء ومهرجانات الشعر والأدب
والنتائج التي لا تنشر إلا في الصفحات التالية للصفحة
الرئيسية التي تحمل اخبار الانفجارات والإغتيالات
والإحتلال والموت والمؤامرات، حتى اذا ما انتهى القارئ
من هذه الصفحة، امتلأ جوفه قيحاً وترك الجريئة ليذهب
الى الحمام...

هكذا يصبح الإنسان بعيداً جداً عن نفسه ، في زمان يراد
فيه للعالم ان يصبح قرية كوزية تقترب فيه المسافات بين
الناس وتزيد الهوة اتساعاً عند البعض مع انفسهم ، ويفرض
الواقع الاليم لكثيرين حالة من الخوف حتى من النفس،
خشية ان تتحدث لنسمات الهواء بما يشغلها، كي لا يخذعها
الهواء حين يمتزج مع انفاس الشيطان ، فيمتليء صدره
حقداً، فتختنق بينه كل الأثر هار ويسحق النمل تحت قدميه.

- اديب: حدثني عن اخبار الجماعة ياقرات.

- قرات: استاذ طه عاد من سفره وهو الآن في بيتك، فقد
طلب مني ان يسكن الى ان ترجع، وان كان لك رأي اخر
فتحدث معه، وسلمان وسيد رائد وسيد حسين قد بعثوا
بعوائلهم الى العراق وهم الآن يبحثون عن سكن لهم.

- اديب: حسنا، سأذهب الى بيتي في رقدالين لأسلم على
مبروك، انني افكر بالسكن مع الجماعة، سلمان ورائد
وحسين ان وافقوا.

- قرات: كما تحب.

- في مستشفى الجميل حيث يعمل د. علي
- اديب: السلام عليكم يا صاحبي العزيز.
- د. علي: اهلاً.. اديب حمداً لله على السلامة، متى عدت؟
- اديب: البارحة ليلاً وقد بتت عند فرات، واليوم كنت في رقدالين، ربتت اعراضني.
- د. علي: ألف حمد وشكر لله على السلامة.
- اديب: الله يسلمك.
- د. علي: حدثني عن سفرك.
- اديب: لا بأس بها فقد غيرت الجو الذي كنت اعيشه وانا الآن بحمد الله في وضع معنوي رائع جداً، جئت متحمساً، لقد وجدت حياة العراقيين في سوريا غير مرضية بالنسبة لي.. ي تعود احنه هنا برحمه كبيره، وصحيح عندما قالوا ان المرء لا يقدر النعمة التي هو فيها حتى يفقدها.
- د. علي: لكنك لم تفقدها بفضل الله.
- اديب: وهذه نعمة من الله اكتشفتها خلال هذه السفرة القصيرة، والحمد لله على كل حال.
- ماهي اخبارك يا دكتور، وهل من اخبار عن استاذ محمد؟
- د. علي: اخباري والحمد لله جيدة.. وليس من جديد، بين الدوام والسكن، حتى انني ما عدت اذهب الى رقدالين منذ سافرت.. اما اخبار عمي محمد فقد وصل الى العراق، والله يسهل عليه.
- وانت ماذا تخطط لهذه السنة؟

- اديب: ان شاء الله سأغير البيت الذي انا فيه الآن، وسأزور سلمان والجماعة، فقد علمت انهم ارسلوا عوائلهم الى العراق، وهم يبحثون عن بيت للسكن فأن وفقنا فأسكن معهم.

- د. علي: هذه فكرة جيدة، وماذا عن فرات؟

- اديب: في زوارة.. يعمل الآن في مكتب للحاسبات مقابل كلية الآداب في زوارة، وهو مرتاح في عمله، ولكن مع الأسف لم تسمح الفرصة لحصوله على عقد عمل.. يبدو انها أصبحت مستحيلة، على ما فهمت من بعض الليبيين لأن التعاقد من الداخل لم يعد مسموحاً به.

- د. علي: الله يوفقه، المشكلة ان العمل الخاص مع الليبيين صعب نوعاً ما.

- اديب: هو يشكو من ذلك، فصاحب العمل السابق لم يعطه أولاً بأول، وعند تراكم المبلغ يبحث عن عذر لكي يقلل المبلغ، او لا يعطيه، كما فعل خالد، الذي عمل عنده مؤخراً في رقدالين، المشكلة انه كان يحتفظ بجوازه عنده، ولولا تدخلني في الأمر عن طريق صديق لي في المعهد، والمحاولات لإسترجاع الجواز الذي استعمله كورقة ضغط على فرات لكي يتنازل عن حقه عنده..

- د. علي: الله غالب كما يقولون...

- اديب: مسكين حوالي ٤٠٠ دينار راحت عليه.

- د. علي: المهم حصل جوازه.

- ادیب: فی کل الأحوال کان سیحصل علی جوارہ، لأنہ
لیس من مصلحة خالد الإحتفاظ بالجوار ولو اردنا لطالبناہ
بالجوار عبر مرکز الشرطة، ولكن تدخل جماعة يعرفهم
د. سامی فی المعهد العالی، جعل المسألة تنتهي عند خسران
المبلغ فقط وهذه هي غاية خالد الأساسية وقد حصل عليها.
- د. علی: قل له ان يتخوّل في عمله الجديد، او أي عمل
آخر.

- ادیب: (فإنه خير حافظا وهو ارحم الراحمين).
تا استاذن.

- د. علی: والی این استذهب؟
- ادیب: سأذهب لزيارة بيت ابو علي (آدم) ومن ثم ازور
سلمان وسيد رائد وسيد حسين لأرى ما سيفعلون.
- د. علی: سلامي لهم جميعا وسأزورهم في أقرب وقت،
وبالمناسبة، هذه الرسالة تركها سلمان عندي.. انها من
والدك.

- ادیب: صار لها أكثر من شهر.. سأجيبه عليها الليلة ان
شاء الله.

..... إلى أبي وامي

- أديب: كيف أبدأ رسالتني إليكم.

امامي ثمانية وعشرون حرفاً، وبأيدي قلم، وعيني على
السطور ترقب ما سيقرعه الفكر من عبارات وكلمات
مستمدة نبضها من القلب، وبينما أنا أتأمل تلك الكيفية التي
ستتمكن بها هذه المنظومة من صياغة جملة أو عبارة أبدأ
بها رسالتني تحسست النفس تلامس شغاف القلب، وتلاعب
المشاعر فيه لينشد العقل ترنيمة الشوق وتتسارع قطرات
الحبر لتقر من القلم متراقصة على أوتار الصدفة، راسمة
صورة الروح الواحدة في أجسادنا، فوجدتني أبدأ مخاطباً
ياكم...

والذي.....

والذي.....

اعوام مرت وأنا بعيد عنكم، وأنتم بعيدون عني، ورغم كل
ذلك لم نفترق، ليست احجية هذه ولا هي من قبيل التلاعب
بالألفاظ من أجل اضفاء لون او مسحة مجاملة على العبارة،
أبدأ لا هذا ولا ذاك لأن عدم الفراق رغم طول المسافات
الفاصلة بيننا له اسبابه، ففي ذاكرتي دوماً هناك سمعتان
وصوت واحد لا يزال يهمس في اذني (ان الذي فرض عليك
القرآن لرداك الى معاد) وشيء من تراب العراق به عبق
زكي من ضريح الأئمة، وماض مليئ بالذكريات مختبئ
في قسَمات وجهيكما، وحزن تراكت عليه السنوات

فاستحال شيخاً هرماً أرق كاهل الزمان الذي ركنه ليصبح
بمرور الوقت ضوعاً مباركاً يملأ سواد الشعر.. لم تزل
عيني تحفظ بدموعكما ساعة الوداع ولا زلت أردد (امي يا
أم الوفاء... يا طيب من الجنة...) تجاوزت عامي الثلاثين
ولازلت بحاجة إلى يدك المباركتين تفتحان نافذة نفسي
لتصل إليها نسمات حنانك وتبث فيها الأمان وتهدئ من
روعها بعدما اضطربت تحت تأثير إيقاع الزمن الصاخب..
لم أزل أحتاج حكمة أبي لترشدني إلى جادة الطريق بعدما
تشعبت بي طرق الغربة.

كنت أسمع أن (الغريب اعمى ولو كان بصيراً) وأصبحت
غريباً حتى أوضحت لي الأيام مغزى هذه العبارة، فكنت
بين الحين والآخر اغسل عيني بدموعكما التي أفرزها ألم
الفراق، فيرتد إليها بصرها لأرى ما حولي بوضوح..
وكنت أتنفس نسمات العراق عبر رسائلكم فتتملئ نفسي
رغبة في مقاومة اليأس والإحباط.. كم تمنيت وجودي
بقربكم انهل من فيض الحنان والأمان اللذين حرمتُ منهما
في سنوات الغربة التي تستنزف أعمارنا وتتركنا بعد مرور
الوقت حائرين تائهين لا نعرف أين السبيل، وبينما أنا امرء
بهذا الحال وإذا بسبيل من وهج الإنتماء المخبئ في أعماق
النفس يتدفق ساعات الضيق ليطفح على المحيا غاسلاً
ترسيات الأرق والصجر تاركاً مكانها أملاً عذباً وربيعة
أخضراً اسمه الأهل والوطن، فتورق كل تلك الذكريات

القديمة وتعود الروح فيها فتبدو حدثاً حصل منذ وقت قريب، وتشخص ذكراكم صوب العين فتبرق دمة وتوشك ان تضىء ممرات الخد الذي مرّت عليه ايادي الغربىة الثقيلة، فاذا بالعين تطلب من معها شيئاً من الصبر كي لا يحرم شرف البكاء بين يديكم المباركتين حين اعود اليكم.

- سلمان: هلو اديب شلونك، الحمد لله على السلامة، اليوم سمعت انك جاي، شلونها سفرتك؟

- اديب: الحمد لله على كل حال، كانت سفرة جيدة لا بأس بها.. تفضل .

- سلمان: هل ستبقى في هذا البيت ام لديك الرغبة بالسكن معنا في البيت الجديد، لقد نويتا ان نسكن سوياً انا وسيد رائد وسيد حسين، وانت ان كنت تريد.

- اديب: والله ياريت، وهل وجدتم بيتاً مناسباً.

- سلمان: ان شاء الله، وسنذهب لرؤيته اليوم عصرًا، وانا انتظر سيد حسين سيأتي من زوارة ومن ثم نمرّ على سيد رائد.

- اديب: ارجو ان يبسر الله ذلك.. الدوام قد بدأ ويجب ان نرتب امورنا سريعاً.

- سلمان: كل الأمور مرتبة، ولا ينقصنا سوى الاتفاق على البيت، ومن ثم ننقل اغراضنا وبالمناسبة فأن عوائلنا تركت معدات ثلاثة بيوت كاملة.

- آدم: (مهندس ميكانيك في المعهد العالي لإعداد

المدرسين): اهلاً استاذ اديب، الحمد لله على السلامة ..
بفرة سعيدة.

- اديب: اشكرك ابو علي، شلونكم وشلون الأهل.

- آدم: الحمد لله ، بخير، تفضل.

- اديب: السلام عليكم.

- سيد رائد: وعليكم السلام، اغاتي، الحمد لله على
السلامة.

- اديب: الله يسلمك، شلونك سيد، شلون الأحوال.

- سيد رائد: بخير والحمد لله، نسأل عنك، والجماعة في
المعهد يسألون عنك.

- اديب: نسأل عنكم العافية.

- اليب: - عام دراسي جديد يبدأ، حياة يومية تتكرر، واجواء فيها من الاستقرار الشيء الكثير، الهدوء الذي يملأ مفاصل الحياة اليبية يغري محبي الطبيعة والسلام بالتسبب قدر الإمكان بتلك الأجواء التي لم نتمتع ولا بشيء بسيط منها في عراق المرحلة الممتلئة ببشاعة وقبح الحياة، التي كانت إما مدينة، أو تعيش على بعض الأنفاس المنهكة في صدور العراقيين الممتلئة حشرات وأهات، والممتلئة بغبار الجو المختق والمليء بالآتربة صيفاً وبرائحة المجاري شتاء.. كانت أياماً عصيبة تلك التي عشناها.. ربما في أيام الدراسة لم نكن نشعر بحجم تلك المعاناة التي أخذت تشغل كل مفردات حياتنا بعد التخرج والإنخراط في الحياة العملية، أو هكذا تسمى..

.... في ثانوية النصر، وعند استاذ حمزة كان هناك مجموعة من الأساتذة يتحدثون....

العراقيون في حيرة خارج الوطن، وفي حيرة داخله....
الله وحده يعرف حجم تلك المعاناة التي عشناها ونعيشها، فأين المفر، وإلى أي بلاد نتوجه بعدما عجزنا ان نبعد ذلك الأرق عن العراق، وذلك الهم الجاثم على الصدور، ألم تكن امريكا ترعى بقاء التمثال ! وهي نفسها اليوم من يمطر العراقيين بين الحين والحين بقذائل الطائرات بحجة انها تخيف النظام، خبروني يا جماعة انتم كلكم من المتعلمين

والمثقفين، اخبروني... هل يخفي على أمريكا ان تحدد مكان صدام واعوانه لتضربهم، ام انها تريد موت العراقيين.

- اديب: كلامك صحيح استاذ حمزة، بس الحل شخو، عمرنا راح يخلص وذوله باقين.. ومعانا دنا باقية.

- فرات: لا تكول دينيتك ولا تكول قسمتك، احنا الماعرفنا نعيش موش الدنيا ذلتك.

- اديب: ليس دائما يا فرات.

- استاذ حمزة: اخي لقد بذلنا جهدنا وحاولنا، ربما نحن قد مررنا بمحاولات كثيرة قبلكم، وربما انكم لم تتمكنوا من فعل شيء، المسألة اكبر من كونها علاقة الشعب بالنظام، انها اكبر من ذلك بكثير، والكبار الذين عاشوا تلك المرحلة، على علم بحجم المخطط المراد للعراق، ولهذا الشعب المبدئي بهذه الامرات.

اخى، امريكا مع صدام الى ان يكمل المهمة التي جاعوا به من اجلها، وبعد ذلك سينتهي، وسيترون.

- سلمان: ومتى ذلك سينتهي، واسترون؟

- استاذ حمزة: المسألة تحتاج وقت، وامريكا لا تبالي مهما طال، ومنهما كانت الخسائر، المهم انها ستحقق ما تريد.

- اديب: وما الذي تريده؟

- استاذ حمزة: العراق طيعا.

- سيد رائد: امريكا تريد النفط.

- استاذ حمزة: ومن قال ان النفط بعيد عن أمريكا، أخي
المسألة اكبر من النفط.

- اديب: النفط تبرير وحجة، والله لم نكسب من هذا النفط إلا
المناعب والمشاكل والحروب.

- قرأت: وسيتبقى النفط ضريبة نتحملها نحن دون ان ننتفع
منه.

- د. علي: هذه دول أوروبا وغيرها، ليس فيها نفط وهي
تعيش افضل منا ألف مرة.

- استاذ حمزة: أخي، المشكلة ليست في النفط، المشكلة في
وجود أناس نزيهين يعملون في البلاد، ويقومون على
ادارتها، ولهذا نسمع ان الدولة الفلانية وهي ليست دولة
نفطية، وارداتها اكثر من واردات دولة عربية نفطية،
وغیرها، وغيرها.

- د. علي: والله لقد تورمت قلوبنا، وتعبنا دون فائدة.

- اديب: دعونا نتمشي في الخارج، فالهواء طيب، انني
اشعر بالإختناق.

- قرأت: انا ذاهب معك.

- د. علي: تصبح على خير استاذ حمزة، انا ايضا سأذهب
مع الجماعة.

- استاذ حمزة: ساوصلكم الى بداية الشارع، لم يبق متسع
من الوقت، وسأزورك في وقت قريب في النهار.

هل ستأتي عدا يا سلمان؟

- سلمان: كاذب، غذا ليس لدي عمل.

.... في اليوم التالي، في المعهد.....

- أديب: استاذ نصر، ماذا يعني هذا اليوم عنكم؟ لقد وجدت اطفالا يدورون على البيوت .. يطرقون الأبواب.. يطلبون المال والحلوى.

- نصر: (رجل كبير السن، ويعمل مدربا في المعهد): انه يوم عاشورا.. في الحقيقة نحن لا ندري بالضبط، لكن اجدادنا وأبائنا حدثونا انه في مثل هذا اليوم نجى نبي الله يونس من بطن الحوت، وهناك رواية اخرى ان النبي نوح نجى بالسفينة في هذا اليوم، وروايات اخرى، ولا ندري الصحيح منها، ولكن على العموم فأن هذا اليوم هو يوم فرح.. الاطفال يدورون على البيوت لأخذ العيديّة، والنساء في البيوت يطبخن البقوليات.. وانتم هل تفعلون ذلك؟

- أديب: يوم عاشوراء عندنا يوم حزين، لأن الحدث مفرح ففي مثل هذا اليوم استشهد سيد شباب اهل الجنة الحسين عليه السلام، حفيد رسول الأمة وخاتم النبيين عليه وعلى آله افضل الصلوة والسلام، بمؤامرة من قبل يزيد بن معاوية بعد تسلمه الخلافة.

- نصر: لا ادري .. هذا ما نقله لنا الآباء والاجداد.. وما سرنا عليه.. ولا اعرف اكثر من ذلك.

كانت أيام العام ٢٠٠١ في رقدالين أياماً جميلة، خفيفة من خلال التعاون والتوافق بين أديب وسلمان وسيد حسين وسيد رائد بعد أن اجتمعوا في بيت واحد.. جمعتهم متطلبات الحياة وهموم الاغتراب والحنين الى الاهل والطموح والرغبة في تحقيق شيء ما يعوض تلك السنوات.

كان دكتور علي يترقب انتهاء دوامه ليأتي الى البيت مع الجماعة حيث يتناسى بعض متاعبه ويستأنس بإجازته، كذلك فرات كان يأتي بين الحين والآخر..

في احدى ليالي رمضان المبارك..

- سيد حسين: اهلاً فرات تفضل.. شلونك وشلون اخبارك
- فرات: لقد تعبت يا جماعة ولا اظن انني سأحصل على عقد عمل، والعمل الخاص متعب..

في الحقيقة لم اعد اهتمل كما ان غريتي هنا لحد الآن لم تجد دفعا يستحق الذكر.

- اديب: خلي نفطر هسه ونرتاح، وبغدين نطلع نتمشي اني وياك ونسولف..

..... في طرقات رقدالين ليلاً

- أديب: تبدو لي متزعجا من امر ما، اليس كذلك ؟
- فرات: في الحقيقة أجد نفسي أضيق الوقت هنا دون جدوى، ما أحصل عليه انفعه .. لقد مللت كل شيء.
- أديب: هذا الكلام نابع عن انزعاج ، لا تنس ان العودة الى العراق هي عودة الى المجهول المظلم، ولست ببعيد عن الاخبار وما يحدث هناك.
- فرات: انا اعلم كل تلك ولكن وجودي هنا محسوب عليّ وربما ابقى في العراق فترة واخرج بعدها الى الاردن.
- أديب: يا فرات احسبها بشكل جيد ولا تتسرع ارجوك.
- فرات : ان شاء الله لن يكون هناك تسرع وانت تعرفني جيدا.

- بعد أيام العيد... وفي المعهد.....
- استاذ ادیب هناك شخص عراقي يسأل عنك.
 - ادیب: اهلاً فرات، كيف حالك ؟.
 - فرات: الحمد لله.. ذهبت الى البيت ولم اجد احدا.
 - ادیب: الجماعة في الدوام، انتظرنى قليلاً، او ان شئت خذ المفتاح واسبقني الى البيت.
 - فرات: لا، سانتظرك ان كنت لن تتأخر كثيراً.
 - ادیب: ما زال امامي ساعة تقريبا.
 - فرات: سأذهب لرؤية بلال في المعهد واعود اليك.
 - ادیب: على راحتك، وان كان بلال موجودا في المعهد فاطلب منه ان يأتي معك الى البيت، فأنا مشتاق له جداً، فهو يأتي من صبراته الى الدوام ويعود بسرعة ولا نلذقي الا بشكل سريع..
 - فرات: لم اجد بلال في المعهد، قالوا انه غادر قبل قليل، ووجدت سيد حسين هناك ولكنه سيدأخر في الدوام.

- في الطريق الى البيت.....
- اديب: قرأت شلونك، اشوفك مو على بعضك.. بعدك نعيان.؟
- قرأت: في الحقيقة جئت ابلك انني سأصفي متعلقاتي واعدود الى العراق.
- اديب: ما هذا الخبر المفاجيء، هل قررت ذلك نهائيا.
- قرأت: ان شاء الله، وقد كتبت الى اهلي اخبرهم بذلك.
- اديب: لا ادري ما اقول غير ان ادعو لك بالتوفيق، فأنا على علم انك لم تحقق من الناحية المادية ما يستحق بقاءك هنا، المهم هي مسألة توفيقات، والحمد لله على كل حال.
- قرأت: بعد ان استحصل حقوقي المتبقية من صاحب المكتب الذي اعمل عنده، سأسافر.
- اديب: ومكي سيكون ذلك؟
- قرأت: انت تعرف الليبي، باهي، وغدوه، وتوه، والله غالب..
- اديب: الله كريم، انت بس لا تنهاون في طلب حقوقك اخبر صاحب العمل انك تريد السفر.
- قرأت: اخبرته بذلك، وواعدني نهاية هذا الاسبوع.
- اديب: ننتظر و نشوف شراح يصير.
- قرأت: اذا كان عندك اي رسالة او اخبار او توصية تريد ان اوصلها الى اهلك فأنا حاضر.
- اديب: في الحقيقة لن اكتب رسالة لأنني اريدك ان تزور

اهلي وتحدثهم بما انا عليه وانت عشت معي وتعرف طبيعة حياتي هنا، اخبرهم انني مرتاح في عملي وسكني والحمد لله، والأمور جيدة واخبرهم انني هنا من اجلهم وان الله سيسر الأمور الي الأفضل، كما سأعطيك بعض الصور لتوصلها اليهم، واريدك ان تصف لي احوالهم كما ستراهما، لأنهم في الرسائل يتحاشون ذكر التفاصيل، انا اريد ان اعرف كيف هي طبيعة حياتهم الآن.

- فرات: ان شاء الله.

- اديب: شنو رأيك بالسمك؟

- فرات: احسن اكله.. شنو الطبخ عليك اليوم؟

- اديب: نعم.

- فرات: هذا هم حظي.. بس لا تنلف الأكل.. ههههههه.

- اديب: تره اني طبّاخ جيد.

- فرات: كم عين... ههههههه.

- اديب: اربع عيون... ههههههه.

- سيد حسين: السلام عليكم.

- فرات واديب: وعليكم السلام، الله يساعدك سيد شلونك؟

- اديب: لماذا لم تطلب من بلال ان يأتي معك؟

- سيد حسين: لقد طلبت منه ذلك ولكنه اعتذر لأنه مشغول ولكنه واعدني بزيارة الأسبوع القادم..

- سلمان: سلام عليكم، اهلا فرات، شلونك، شلون
الصحة.

- فرائد: الحمد لله، ابو زيد شلونك انت؟
- سلمان: نسأل عن اخبارك.
- سيد حسين: سيد رائد وين؟
- اديب: خرج من المعهد وذهب الى زوارة، ويمكن يبقى هناك يتغذى عند سامي وحسيب.. عموما نحن سنبقى حصته من الطعام.
- اديب: هيا يا جماعة الغداء جاهز.

- سيد حسين: تضي الأيام وكأنها تتحدى فينا كل ما نحمل من هموم وتدوسها بالزمن الذي يخترق فينا كل شيء ليمر عنوة أو رغبة، لا قيمة لهمومنا في حسابات الزمن، وجراحنا التي تنزف، تتدمل مرغمة عندما تمر فوقها عجلة الزمن الذي يتجاهل كل شيء، هكذا تمر الأيام، وهكذا شيئاً فشيئاً يتحدد موعد رحيل صديق أفرزته سنوات الاغتراب وصدقت تلك الصداقة هموم حقيقية وجراح صادقة تنزف العراق في اجسادنا جرحاً بالغا وعميقاً، هكذا يحين موعد رحيل فرائد الى العراق.

- فرائد: يا جماعة سامحوني عن اي تقصير يكون قد بدر مني، وسأبقى على اتصال بكم عن طريق اخي اديب.
- اديب: الله يبسر امورك وتوصل بالسلامة ان شاء الله، وكما اوصيتك، اكتب لنا كل ما تراه واوصف لنا الاوضاع.
- فرائد: ان شاء الله.

- سلمان: هل تعلم بالمل بسفرتك؟
- فرائد: نعم ابلاغته بذلك.. التقينته عند المحطة وودعته.

القمر يبتسم في السماء، والنجوم تتراقص ناثرة نسيم الهدوء
الأمّن في ذلك الليل وهو يتأذب على فراش الطبــــيعة
الجميلة، والهواء المنعش يداعب جدائل الحياة البسيطة
للطيفة.

جلب بلال معه جهاز الحاسوب ليبقى مدة امتحانات الفترة
الثانية مع اديب وسيد حسين وسلمان ورائد في البيت، بعدما
طلب منه سيد حسين ان يقضي فترة الامتحانات معهم بدل
ذهابه ومجيئه الى (صبرائة):-
- بلال: هل ما تزال عندك رغبة بانهاء عقدك يا سيد
حسين؟

- سيد حسين: لقد تعبت يا بلال وصحيتي كما تعلم قد
ساعت بعد اصابتي بداء السكر وعائلتي هناك لوحدتها، كما
انني والحمد لله قد عملت لي بيتا خلال فترة وجودي هنا
وهذه نعمة والحمد لله والياقي سهل ان شاء الله .
- سلمان: في آخر اتصال بأهلي، الخ والدي علي كثيرا
بالعودة وكذلك طابعت مني والدي ثم انني اقنمكم هنا،
واعتقد انه قد حان الوقت للعودة، او هكذا اشعر.

- اديب: يبدو اننا مصابون بداء الحنين الى الوطن
فأصدر اركم على العودة يذكّرني بدكتور حسين، وهو استاذ
في إحدى الجامعات، كان في ألمانيا مدة عشرين عاما وفي
يوم ما كما يقول: قررت العودة الى العراق رغم ان البلاد
يومها في حالة حرب مع ايران، وكنت في ألمانيا في وضع

لا ينقصني فيه شيء فأنا استاذ جامعي هناك .. زوجتي
واولادي معي .. لكن احساساً الخ علي بالعودة الى العراق
لم اقدر علي مقاومته فاستجبت له، ووافقت زوجتي
الألمانية الأصل علي العودة معي.

كنت اتعجب، ولا ازال لحـد الآن استغرب لمتل هذا
الموقف .. لماذا تترك الوضع الجيد الذي انت فيه وتعود الى
وضع انت علي علم بأنه ليس بمستوى الوضع الجيد الذي
تعيشه.

- سيد حسين: مهما طال بنا المقام خارج البلاد فإننا نبقى
غرياء.

- اديب: انا اتفق معك، ولكن طالما انك تشعر بحال احسن
في الغربة من حالك في الوطن، فلماذا هذا الشعور
بالإغتراب، بالنسبة لي فإنني ارى ان تعريف الوطن في انه
هو الآخرين وليس المكان الذي ولدت فيه، الوطن هو
المكان الذي تجد فيه نفسك وتحقق فيه ذاتك وتنال فيه
الرزق والمكانة الاجتماعية والحقوق التي تحفظ وجودك
حراً وغير محاصرين .. وعلي العموم، ما الذي يمنع ان
تحتفظ المرء بجذوره العراقية ويعيش معززا في غربته.

- سلمان: ولكن لا يمكنك البقاء في الغربة الى الابد.

- اديب: ولماذا لا ؟

- سلمان: هل يمكنك ان تنسى اهلك الى الابد ؟

- سيد حسين: كلما طالبت سنوات الغربة، ازدادت قسوة

القلب، ومن المحتمل ان ينسى المرء اهله، ونحن لا نريد
ذلك لأننا لم ننشأ على ذلك ولأن اهلنا لا يستحقون مثلاً ذلك.

- ابيب: هل العودة في مثل هذه الظروف، حل لمشكلة
الغربة، هل نسيتم المعاناة التي عشناها في العراق، هل
تصورتم المعاناة التي تنتظركم هناك عندما تعودون.

- بلال: انا لا ارى ان تحسين الوضع المادي هو الحل الذي
يدعو الكثير للتفكير بالعودة الى العراق في مثل هذه
الظروف وهذه الأوضاع فأنا لا ارى ان الحصول على بيت
ملك مثلاً وان كان حدثاً مميزاً الا انه ليس الأهم من بين
الكثير من المتاعب التي يعيشها المواطن في العراق، كلنا
نرغب في العودة الى البلاد والعيش هناك حيث الطفولة
التي لا تنسى، وسنسى العمر التي عشناها بحلوها ومرها،
ولكن لا اراه الوقت المناسب، ولكل رايه الخاص.

- ابيب: انا برأي انه من الخطأ ان يقطع شخص مشواراً
طويلاً في الغربة ويستقر في بلد ويجد نفسه ومستقبله هناك،
ثم يترك كل ذلك ليعود الى المكان الذي ولد ونشأ فيه، ما
لما نفع ان تروى ذلك المكان زيارة بين الحين والحين.

- سلمان: هذا الكلام ينطبق على اللاجئين في اوربا، فبعد
ان يحصل على الإقامة ومن ثم الجنسية، وما يترتب عليها،
يمكنه ان يزور اهله وبلده بين الحين والآخر، وانا معك في
انه مخطئ عندما يفكر بترك كل تلك المزايا والحياة الأمنة
والممتنوعة ليعود الى ما كان عليه او الى الاسوء.

- الـعـيـب: لـيـس هـذا وـحسـب وـلـكـنـه اذـا عـاد فـلـن يـمـكـنـه ان يـحـقـق شـيـئـا، بـل سـيـضـطـر الـى ان يـتـكـيـف مـع تـلـك الـوـاقـع الخـطـأ لـيـعـيـش بـشـكـل خـطـأ طـبـعا، و هـذا بـرأى تـراجـع اخـتـيـاري الـى الـوراء الـا اذـا كـانـت هـنـاك ظـرـوف قـاهـرة.

- بـلـل: هـل تـقـصـد بالظـرـوف القـاهـرة تـلـك الـتى يـتـعـرض لـها الـانـسـان فـي بـلـده او فـي خـارجـه ؟

- الـعـيـب: رـيـما لا فـرق، الـسـهـم انـها ظـرـوف قـاهـرة.

- بـلـل: ارى ان هـذا كـ فرقا، فـأى شـخـص مـثـلا عـنـدما يـتـعـرض لظـرـوف قـاهـرة فـي غـربـه، و هو يـعـلم ان ظـرـوفـه فـي بـلـده سـتـكـون اسـوأ او لـيـسـت بالـحل الـذى يـخـرجـه مـن الظـرـوف الـتى يـمر بـها، فـهل ان عـودـته الـى بـلـده هـي حـل جـيد او مـنـاسـب، انـها مـجـرد هـروب مـن قـسـوة الظـرـوف الـتى هـو بـها.

- سـلـمـان: قـد يـنـاسـب هـذا الـكـلام الشـاب الـاعـزب - مـثـلكم - و لـكن الـا تـرى مـعـى ان الـأمر يـخـتـلف مـع صـاحـب العـائـلة ؟

- بـلـل: لا ارى ذـلـك، بـل عـطى صـاحـب العـائـلة ان يـجـتـهد لـيـجـد لـأهـله حـالـا يـنقـذـه مـما هـم عـلـيه لـأنـه يـمـثـل نـافـذـتـهم الـى الحـياة ووسـيـلتـهم الـتى بـها يـحـقـقون احـلامـهم.

كـما ان الـناس هـنـاك لا يـعـيـشون الـراحـة الحـقـيـقة بـل انـهم يـعـيـشون الـراحـة المـنـفـوعة الضـرـيـبة لـلدولـة .. هـل نـسـيـتم كـيـف كـانوا يـتـنـزـون الـناس ؟!

- الـعـيـب: نـعم، انـنى اذـكر عـنـدما كـنت اعـمـل فـي السـوق، كـانوا بـين الحـين و الحـين يـأتـون لـيـأخـذوا مـثـا المـال، مـرة بـحـجة عـمـل

(كيسة) لعيد ميلاد سيادته!، ومرة يشجّدون المال قسراً بفرض صور سيادته على المحلات لأنهم يعلمون ان الناس تخشى ضمائرهم المينة او المملوكة والمحكومة ويخشون على انفسهم سياط الظلم، فيخوفون الناس بها.
ما اتعس تلك الايام..

- سيد حسين: اتذكرون التجار الذين اعدموا في (سوق جميلة)؟ .. اعدموا بتهمة التلاعب بقوت الشعب.. انه عنوان مثير ، ويوحى بحجم اهتمام الحكومة بالناس، وهذا ما كان يتردد بين الناس وما يتناقذه الإعلام الى الخارج لتجميل صورة النظام.

- اديب: وباليتهم يعلمون ان النظام بعد ان اعدم اولئك التجار، رفع اسعار المواد الغذائية التي اتهم التجار بأنهم يرفعونها على الناس.

- بلال: بالتأكيد ان احدا لن يصدق حين نقول له ذلك.

- اديب: طبعاً لا يصدق، لأن الإعلام يؤدي دوراً قوياً في اظهار الصفحة البيضاء المصطنعة لمسيرتهم.

هذا يذكرني بمسلسل (الموت القادم الى الشرق) .. كان في المسلسل مجموعة من قطاع الطرق يستولون على قافلة ويذبحون من فيها ويستلبون اموالهم ومتاعهم وبعدها يخططون للتوجه الى اقرب مدينة يمرّون بها ويدخلونها كتجار ويبدأون بشراء المحلات والأسواق ويتقربون من الحاكم الى ان يطيحوا به ويستولون على الحكم ويقسمون

دولة الرعب والإرهاب والقمع التي هي صنعتهم بالأساس .
- بلال: مسكين بلدنا ، مسكين جيلنا ، والجيل الذي ينشأ حالياً
في احضان الوطن المنهك والمرهق ، انها مأساة كبرى ،
العالم من حولنا يتفرجون ، ويعلمون ما يجري على ارض
لواقع ولكنها المصالح.

- اديب: حتى منظمات (حقوق الانسان) ، على عظم بما
يجري من اضطهاد لحقوق العراقيين ، على الأقل من خلال
المعارضين الموجودين في الخارج ، ويفترض انهم على
عظم ومتابعة لحقوق الانسان داخل البلاد ، لكنهم لا يحركون
ساكننا الا اذا طلبت منهم المصالح العالمية التحرش بدولة ما
بحجة انتهاكها لحقوق الإنسان فتثار عليها القضايا
المحفوظة عند منظمات الحقوق ويفتحون ملفات ذلك البلد .

- بلال: كلام صحيح، بدليل ان منظمات حقوق الانسان
تعلم تماماً ما جرى للأكراد من ايانة بالكيماويات ، فقد كانت
حادثة روعت العالم وتناقلتها وسائل الاعلام.

- سيد حسين: ربما قتل الناس بالكيماوي ليس من
اختصاص منظمات حقوق الانسان .!!!!

- سلمان: يا جماعة ثره كلها كالأوت ، لا حقوق انسان ولا
بطيخ....!!!!

- بلال: يا جماعة هذه معاناة لا تنتهي ، دعونا نتحدث في
سفر السيد حسين وسلمان ، ماذا يخططون لفعله هناك ،
وماذا عن اديب وسيد رائد، هل سيقفون في البيت ؟.

- العيب: لا أدري لحد الآن ولكن البقاء في البيت يعني ان نتحمل الأيجار انا وسيد رائد فقط، والبيت كبير وقد لا نجد من يشاركنا السكن فيه، بالنسبة لي احتمال ان انتقل الى السكن في (الجميل) مع عماد وماهر، فقد عرضوا علي السكن معهم، خصوصاً وان عماد سينتهي عقده هذا العام وسأخذ مكانه في البيت.

- بلبل: وسيد رائد.

- سيد رائد: قد انتقل الى السكن في (زواره) مع خالد وحسين وسامي.

- سلمان: عدد كبير من المصريين والعراقيين سينهون عيودهم هذا العام بعد انخفاض سعر التحويل.

- سيد رائد: بالنسبة للمصريين هناك أكثر من مكان يتوجهون اليه، ولكن أين نذهب نحن ؟ ، هل نعود الى العراق في مثل هذه الظروف، وماذا انجزنا لكي ننهى رحلتنا بالعودة، الا نتفقون معي انها خطوة الى الوراء، على الأقل نحن هنا نضمن رزق اولادنا واهلنا، من يضمن لنا ذلك في العراق؟!

- اديب: هذا صحيح ، من يعيش خارج العراق وفق ظروف مناسبة، يصعب عليه ان يعود الى وضع اسوء، هل تعلمون اننا هنا لا نخلو من تلك المضايقات والمراقبة، هل تعلمون ان السفارة العراقية، ومن خلال بعض المعارين هنا وهناك يكتبون عن كل واحد منا ؟!

- سلمان: بس يا جماعة على العموم تراه للغريه ضريبته، او من نزل سعر التحويل صارت ما تسوه، ويعدين هذا وقت محسوب علينا، والناس هناك ميعرفون سوى اذا في الخارج، وكل ما يشغلهم هو شجنيته من رحلتنا هذه.

- اديب: من قال اننا لم نجد شيئاً، هل سمعت ما يقوله القادمون من العراق عن التغير الكبير في اخلاق الناس وتعاملهم، وظهور جيل متعب بشكل يدعو للتحباط... واجيال الرعيل الاول انسحقت معالمة تحت عجلة القهر في العراق.

من قال ان المكسب هو المال فقط، لقد كسبنا مع المال اشياء كثيرة... الراحة النفسية، والله لا انكر انني كنت انام مرتاح البال كما انام الآن، ولا انكر انني كنت اكل شهية كما هو حالي الآن.. الأمان يا جماعة.. انه أمر مهم جداً، هل نسيتم ان اليعثيين كانوا يُنْغَصِدُونَ على الناس ساعات راحتهم، انا شخصياً ازعجوني مرّات عديدة، كان اخرها ان طرقت الباب الساعة العاشرة ليلاً ليخبرني ذلك الشخص انه اصبح المسؤول عني تنظيمياً، وانني مقصّر في حضور الاجتماعات والعمل الحزبي، ولما تحجّجت ببعض الأعذار، قال لي: اذا ما كنت تريد فأكتب طلباً بعدم رغبتك في الاستمرار بالحزب..

هل تتصورون مدى قذارة نفسية ذلك الشخص، كان يريد ان يكسر رقيتي، ولكن الله ينصر عباده المغلوبين على امرهم، فقد تمكنت بفضل الله من التخلص من قذارته بأن طلبت منه ان يبحث لي عن مسؤول يمكنه ان يجتمع بي يوم جمعة...

هل نسيتم حالات الفرع والخوف والإزعاج المتعمّد، انكر ذات مرّة عند احدي نقاط التفتيش، طلب مني ان ابرز هويتي، فأعطيته هوية النقاية... نظر فيها وقال:

- اريد ان اقول شيئاً ولكن قد يزعجك ذلك.

- لا، ليس انزعج.

- استاذ هذه الهوية تتروّر بـ (٥٠٠) دينار.

- والمطلوب مني شنو .
- اعطيني نفتر خدمة .
- ومن قال لك انه غير مزور .
- مو كنتك راح ترعل .
- هو شنو قيمته حتى ازور هوية معلم لو مدرس لو مهندس .!!! واشيلها وباي ..
- كنت كلما اتذكر تلك المواقف التي مررت بها في العراق بقشعر بدني واحمد الله انه رزقني نعمة مغادرة البلاد ..
- منذ جئنا الى ليبيا والى الان لم يضايقنا أحد أو يزعجنا أحد .. ان الأمان والراحة التي نعيشها هنا هي نعمة عظيمة لا تقدر بثمن ، لقد كذا نخاف ونتوجس من كل حركة نتحركها لأن البعثيين يفسرون المواقف حسب ما يريدون ، انهم يعتقون الشخص ويجعلونه يقر بما لم يرتكب من شدة التعذيب الذي يمارسونه عليه ، مقابل ان يرفعوا تقريرهم الى المسؤول الأعلى الذي سيكتب عنهم الى مسؤوله الأعلى ان لم يدفعوا بضحية على انها هي المذبذبة ، وهكذا ..
- سلمان: القضية ليست بهذا الحجم من المبالغة ، فمن ليس له علاقة او نشاط يمس الحكومة فلا أحد يقترب منه .
- بلال: من كالم هذا الكلام ، وياريت لو كان الأمر الى هذا الحد وبس ، لكنهم يا اخي يتحارشون بالناس حتى يكسرون اركابهم ، ويحاولون خصوصاً اذا كنت تعمل موظفاً ، ان يجبروك على ان تدفع لشراء هدية لسيادته وهم يعلمون انك

على وضع مادي سيء ويريدون من ذلك ان تتنمر وتتكلم لكي يطيحوا بك وبعائلتك كي يحصلوا هم على المكافأة والمرتبة الأعلى في نظر اسيادهم.

- اليب: المواطن محارب في العراق ولكن اسلوب الحرب يختلف من شخص الى اخر، فما يراه سلمان مبالغاً فيه هو نتيجة تنوع اساليب المضايقة التي تمارس من قبل النظام.

- سيد حسين: صحيح، مدينة الثورة مثلاً، روح شوقها شلون تعبانه، لأن اهلها امتعين الحكومة، الحقيقة انهم ابطال، ووالله كان صدام يخاف منهم ومن تحركاتهم، لذلك كان يحاصرهم ويراقبهم ومفروض عليهم سوء الخدمات والمعيشة.

- د. علي: عندما كنت طبيباً مقيماً في إحدى المستشفيات جاءت سيارة من إحدى السجون التابعة للقصر، وطلبوا الطبيب الخافر، لسوء الحظ كنت انا..

اخذوني معهم.. في الطريق اعصبوا عيني بعد ان استسمحوني لهذا التصرف كونه جزءاً من واجبهم.

لما وصلنا الى المكان المراد، ازالوا العصابة عن عيني واذا بي في مكان لا اعلم اين هو، وبعد قليل عرفت انه سجن وعلي ان اكشف على بعض المساجين، دخلت الى دهاليز مظلمة حتى وصلنا الى غرفة صغيرة مظلمة، رائحتها نتنة جداً، ورطبة، طلبوا مني الكشف على الموجودين فيها، لقد كانت لحظات مؤلمة جداً، لأنني رأيت هياكل عظمية

تندفس، مفروض عليها ان تعيش لكي تلاقى ما هو اسوأ،
ربما عقاباً على جريمة لا وجود لها، أو لمجرد أنه مشتبّه
به، والأدهى من ذلك أنني وجدت ثلاث جنث على جنب،
طلبوا مني تحرير شهادة وفاة لهم دون ان يسمحوا لي
بمعرفة سبب الوفاة، كان عليّ ان أؤيد مفارقتهم للحياة
نقط..

- اديب: ولكن الحقيقة ستظهر يوماً، وشمسها ستكشف تلك
الجيف وتعريهم، وعسى ان يكون ذلك قريباً.

- سلمان: ماذا يمكننا ان نفعل، ليس بأيدينا شيء.

- د. علي: كل ما نستطيعه هو انقاذ انفسنا، العديد من اساتذة
الجامعات والكفاءات والعقول هاجرت.. هنا في ليبيا كثير
من الأساتذة القديرين والعقول المبدعة.. علينا ان نؤمن
الفرصة التي وهبتها لنا ليبيا، على الأقل انها حفظت لنا
مكانتنا.

- اديب: اتدري انني فكرت لو هلة ان اغادر ليبيا راجعاً الى
العراق، بعد ان انخفض سعر التحويل، ولكن مكالمتي
الهادفة مع والدي كان لها الأثر الكبير في التراجع عن هذه
الغفلة، عندما اخبرته انني سأعود، بلا شك رحّب كثيراً
بعودتي وقال لي: يا ابني احسبها زين لأنني ما اريدك تنتم
وانت يمي، لأن هذا سيتعبني.

- سلمان: ليس ما تطلع الى اوربا، انت وحدك، ما وياك
عائلة..

- سيد حسين: علمت ان الجماعة في زوارة سيقتمون على اللجوء الى اوربا عن طريق البحر الى ايطاليا.
- اديب: حتى جماعة الجميل قالوا لي تلك الأيام انهم يفكرون بالأمر، يبدو انهم على علم بجماعة زوارة، المشكلة ان طريق البحر خطر كما انهم يسافرون على متن قارب نفخ والمسافة ليست قليلة والبحر غدار.
- سيد رائد: المشكلة انه لا يوجد طريق آخر غير البحر.
- اديب: والله لا ادري ما أقول، نحن هنا قد لا نضمن البقاء لفترة طويلة، ربما يستغنون عنا في اي وقت، والعودة الى العراق خسارة كبيرة، اللجوء عن طريق البحر خطر جدا، (انما اشكو بني وحزني الى الله...).
- سيد حسين: فاز بالذات من كان جسورا.
- اديب: لا اجدني شجاعاً لاتقدام على ذلك، ولو ان الحياة في اوربا تستحق المجازفة، ولكن..!
- سلمان: انت خليك على اتصال بالجماعة وشوف وقتها تملون تتطور الأمور.

كانت اجواء العام ٢٠٠١ مشحونة بحالة التوتر وعدم الاستقرار .. قد كانت فكرة اللجوء تروج يوماً بعد يوم والشباب حسيب وخالد وسامي يتابعون الموضوع بشكل جدّي رغم انهم يتكلمون على الأمر الا للمقربين لأنه أمر خطير ، اذا ما وصل الى الجهات المختصة فقد يتعرضون الى ما لا يحمد عقباه.

- خالد : هناك قارب سيغادر هذه الأيام الى ايطاليا ونحن سنغادر معهم ، وننتظر اشارة الانطلاق.

- سيد حسين : ومن سيكون معك ؟

- خالد : حسيب ، وكان سامي معنا الا انه تراجع اخيراً.

- سيد حسين : سامي ما عنده حظ كل مره يريد يسافر ولكن ما يتحقق هذا الشيء.

- خالد : رجاء سيد لا تذكر ذلك لأحد الا لمن تثق بهم.

- سيد حسين : اكيد، ربما اسافر قبل ان تسافروا انتم ، فموعد الطائرة بعد يومين .

- خالد : اوصيك ان تمرّ باهلي في العراق وانا ان سافرت الى اوربا فساكتب لهم من هناك ، المهم لا تخبرهم بشيء .

وبأني يوم سفر السيد حسين ، بعد سفر سلمان بأيام.

- اديب : سأرافقك يا سيد حسين الى المطار ان شاء الله.

- سيد حسين : رحمه عليك .

- اديب : يعز عليّ ان اتركك دون توديع الى المطار فقد

سافر سلمان ولم يكن يمتلك الوقت الكافي للذهاب معه الى المطار، انها اللحظات الأخيرة التي نفصل بينها ومن يدري قد لا نلتقي بعدها، الا تستحق تلك الذكريات ان نتوجهها بوداع اللحظات الأخيرة، اعتقد انها تستحق اكثر، ولهذا فأنا مصرّ على ان اكون معك حتى اللحظات الأخيرة التي لا املك بعدها ان اكون معك.

لا ازال اذكر اللحظات الأخيرة لي في العراق، كان صديقي حسن وصباح آخر من رأتهم عيناى، ولا ازال لأن اذكرهم واتذكر تلك العهد والوفاء الأخوي والصدقة الحقيقية، ان اللحظات الوداع الأخيرة اثرها الذي يبقى مع الشخص ما بقيت ذاكرته عامرة بتلك الأجواء النقية من العلاقات والصدقات.

- سيد حسين: يعزّ عليّ انا ايضاً ان نفترق، ولكن هذا حال الدنيا.. من يدري ماذا ينتظرنا غدا.

- اديب: لنترك الغد لمن يعلمه، ولنتحدث عن اليوم، سأتي الى بيت خالد وحبيب وابات معك حتى نخرج عند الفجر الى المطار باذن الله.

- سيد حسين: ان شاء الله، وماذا عن عباد؟

- اديب: سيسافر قريباً، ولو انه لا يزال غير مستقر على رأي، فهو بعد ان انتهى يفكر ويتابع موضوع اللجوء.

- سيد حسين: انا لا اؤيد فكرة عودته، ولا عودة اي منكم ما نمتم بان ارتباط، لولا ارتباطاتنا الاسرية، يمكن لما

فكرنا بالعودة.

- ماهر: هل علمتم ان حسيب وخالد قد وصلوا الى ايطاليا ؟

- عماد: سمعت ذلك.

- اديب: ومتى تم ذلك، قبل ايام كذا عندهم لم يخبرونا، ولم نلاحظ عليهم اي شيء يوحي بأنهم على استعداد، كل شيء كان عادياً.

- ماهر: انت تعلم بخطورة الموضوع.

- اديب: وماذا عنك يا عماد الم تكن على علم بتحركاتهم، الم تكن تريد التحاق بهم.

- عماد: كلما استخرت الله كانت الخيرة مخالفة لنية الرحيل عبر البحر، وكلما اخذت خيرة للعودة الى العراق كانت جيدة، وانا في اشد حالات الحيرة.

- اديب: لا ادري ما اقول، ولكن هل انت متأكد من الخيرة التي تأخذها.

- عماد: جربت ذلك سابقاً، ولهذا لا استطيع ان اتركها.

- ماهر: لا ادري ما الخير في العودة الى العراق هذه الايام.

- عماد: سأنتظر بضعة ايام اخرى.

- اديب: وكيف كانت رحلة الجماعة ؟ هل واجهتهم صعوبة

- ماهر: لقد اوشكوا على الغرق وناه القارب بهم وبقوا في عرض البحر لا يعرفون ماذا يفعلون.

- اديب: وماذا حصل ؟

- ماهر: يقول سامي انهم بقوا على حالة الضياع مدة نهار
ونفذ ما عندهم من وقود.

- اديب: اكمل بالله عليك.

- ماهر: يقول سامي.. كما اخبره خالد عندما اتصل به من
إيطاليا، وبينما هم على هذا الحال حتى مر بهم قارب كبير
قادم من تونس.. اوجسوا منه خيفة اول الأمر، فربما يكون
من حرس السواحل، المهم لم يكن امامهم غير طلب المعونة
من اصحاب هذا القارب:-

- من اين انتم؟ وماذا تفعلون؟ والى اين تتوجهون؟

- نحن عراقيون، نقصد الوصول الى إيطاليا، وقد ضاع بنا
الطريق ونفذ ما معنا من وقود وطعام.

- لا بأس عليكم اصعدوا الى قاربي، لتأكلوا وتترودوا
بالوقود.

.... على متن القارب:

- من اين انت؟

- انا تونسي، اعمل على هذا القارب لنقل البضائع من دولة
الى اخرى.. قلتم انكم من العراق، فمن اي مكان من
العراق؟

- خالد: من مناطق مختلفة، انا وحسيب من بغداد، سعدون
وكاظم من كربلاء.

- لا شك انكم مضطهدين في بلادكم بحيث انكم تجازفون

بارواحكم بهذه الطريقة.

- كاظم: نعم.

-لما علمت انكم من العراق لم اتردد في مساعدتكم، رغم خطورة الموقف.

- لقد بعثك الله لنا رحمة..

- سأرافقكم الى ان اصل بكم الى السواحل الايطالية وقبل الوصول بمسافة سأضطر لأن تتركوا القارب وتكملوا بقاربكم الصغير، لأن وصولي الى هناك يعرضني لمخاطر.

- ونحن نرفض ان نتعرض بسببنا الى الاذى.

- الحبيب: سبحان الله، لو لا ذلك الرجل لكانوا قد هلكوا، انه امر خطر جدا.

- عماد: بالتأكيد، وما من جماعة غادرت عبر البحر الا ووصلت باعجوبة.

- ماهر: ولكن لا يوجد طريق آخر، صحيح انه طريق خطر ولكن لا سبيل غيره لمن اراد الوصول الى اوربا، الكل يمتنع عن اعطائنا تأشيرة السفر، ولو لا ليبيا لما استطعنا ان نسافر من مكان الى اخر ولو بشكل محدود، تونس مثلاً لا تعطي تأشيرة الدخول لبلادها لأي عراقي مالم يكن مقيماً في ليبيا، سابقاً كانت المغرب تعطي التأشيرة للعراقيين ولكنها الآن تمتنع عن ذلك الا بشرط الحصول على الإقامة الليبية.. مصر ايضاً ترفض اعطاء العراقي

دأشيرة الدخول إليها مالم يكن مقيماً في ليبيا، كأئنا نحن
اصحاب الفكر الخطر في العالم ولنا ضحايا ثلوث فكر
الكبار.

- ماهر: هل نسيت ان مصر ارسلت قوة عسكرية الى
الخليج لضرب العراق !!!.

- اديب: ليست مصر وحدها، بل كثير من الدول الأخرى.

- عماد: انهم ينفذون ما يُطلب منهم.

- اديب: نحن في ظل ليبيا نعيش حالة من الأمان
والاستقرار النسبي، هناك الكثير من العراقيين لهم مدة
طويلة هنا دون ان يتعرضوا المضايقة وان عاج.

- ماهر: صحيح ولكن سيأتي يوم وتستغني فيه ليبيا عن
الكفاءات سواء عراقية أو غيرها، وهذا أمر طبيعي، عندها
سيتم الإستغناء عنها، لذا لا بد ان نستبق الأحداث وندرك
انفسنا قبل ان نصبح في موقف صعب نضطر معه الى
التراجع للوراء.

- اديب: ما كان لهم ان يختاروا، ان الخيرة الا الله

- عماد: المهم اننا نسعى والباقي على رب الكون، هو اعظم
بالحال.

- اديب: بالمناسبة، فرات بعث رسالة وهو يسلم عليكم
كثيراً.

- ماهر: ما هي اخباره؟

- اديب: يقول ان اوضاع العراق سيئة وهو ينتظر ان يكمل

خدمة الإحتياط التي وجد نفسه ملزماً بها، ثم يغادر إلى الأردن.

- عماد: وكم هي خدمة الإحتياط الآن ؟

- اديب: شهران، يقول ان الكتاب الذي عمله في السفارة وقت كان هنا وطلبت مؤاليدته للإحتياط، يقول ان ذلك الكتاب كما قال له القاضي العسكري الذي احيل اليه بتهمة التخلف عن الخدمة الإحتياطية ، اخبره انه ذهب الى السفارة العراقية في ليبيا وحصل منهم على كتاب يؤيد انه ملتزم بالتعليمات ، الا ان الحاكم العسكري قال له : هذا الكتاب بطله واشرب مائه...

- ماهر: وعماد يريد ان يعود!!

- عماد: شنو الحل؟؟

- ماهر: يا اخي دبر طلعه للخارج، افضل من الرجوع، الا نسمع عن اوضاع العراق، فرات كان معنا هنا واليوم هو هناك وهو يتحدث عن واقع الناس وانت تعرف فرات جيداً وتثق بقوله.

- عماد: انا ما عدت استطيع الإستمرار هنا.

- اديب: لقد قلت لك منذ البداية وقبل ان تنهي عقدك، قلت لك ان تأخذ اجازة زمنية وتسافر الى اي بلد لتغيير الجو الذي انت فيه، لقد مررت انا بنفس الظروف التي تمر بها انت الان ومللت البقاء هنا ولكنني حسنت الموضوع بالسفر الى سوريا مدة الإجازة وقد انتفعت بها كثيراً .

- عماد: انا الان انتهيت عقدي واكملت كل الإجراءات ولا سبيل لما تقول.
- ماهر: انا اري ان تفكر بالوصول الى اوربا، حتى لو اضطررت للبقاء هنا مدة من الزمن.
- عماد: المشـكلة انني كلما اخذت خيرة كان الأمر مرفوضاً، يبدو انني سأعود الى العراق.
- اديب: انتظر قليلا، لعل شيئا جديدا يحصل.
- عماد: انتظر الى متى؟
- ماهر: يقول سامي ان هناك مركبا سيعادر الى إيطاليا بضم مجموعة من العراقيين.
- عماد: لقد جاء د. علي وطلب ان يراك وهو ينتظرك في المستشفى، وقد يأتي الى هنا عصرًا.
- اديب: متى جاء؟
- عماد: بعد الظهر وكنت لا تزال في المعهد.
- اديب: سأذهب اليه.

- د. علي: لقد وصلتني رسالة من صديقي د. امجد من
ايرلندا، يقول انه قد سجلني في دورة دراسية في الجراحة
في كلية الطب هناك وسيقتّم ليحصل لي على تأشيرة السفر،
واريد ان تذهب معي لاتصل به وافهم منه التفاصيل.

- اديب: انها خطوة موفقة، اذا سهل الله فعليك ان تحزم
امرك للسفر وان لا تفكر بالعونة وحاول ان تتكيف مع
الوضع هناك لتبقى، انها فرصة قد لا تتوفر مرة اخرى
واعلم ان كثيرين سيحسدونك عليها ، لأنك ترى كيف ان
الناس تسافر وتخطر بنفسها عبر البحر للوصول الى
وريا.

- د. علي: لا اريد ان يعلم احد بذلك سواك حتى احصل على
الفيزا

- اديب: اطمئن.

- د. علي: يقول امجد ان التأشيرة ستصل ان شاء الله الى
التصليّة في عمان وعندما تصل سيخبرني بذلك.

- اديب: الله يسهل، انت تستحق كل خير.

... بعد مرور شهرين ...

- د. علي: لقد اتصل بي امجد واخبرني بأن التأشيرة وصلت الى عمان وانا ذهبت للإتصال بالفرنصلية للتأكد، فعلمت انها وصلت فعلاً.

- اديب: وماذا ستفعل؟

- د. علي: سأطلب الحصول على اجازة وسافر الى عمان، ومنها الى إيرلندا، عندي رصيد من الإجازات حوالي شهرين، وإذا حصل واستطعت ان ابقى هناك فسأطلب منك ان تكمل لي اجراءات الإنهاء واستلام المستندات المتبقية

سي.

- اديب: توكل على الله .. انت تعرف كيف تدير الأمور، عسى ان ييسر الله لنا بعدك لتكون انت السبب في وصولي الى هناك.

- د. علي: ان شاء الله، سأعمل لك توكيلاً للتصرف بكل ما يمكنك من اتمام اجراءات الإنهاء، وطبعاً لن تفعل شيئاً الا بعد ان اخبرك عبر الإنترنت.

- اديب: توكل على الله، اكتب لي من كل مكان سنكون فيه، عندما تصل عمان، وقبل ان تسافر، وبعد ان تصل الى إيرلندا.

- د. علي: اكيد سنكون على اتصال مستمر.

- ماهر: لقد وصلت رسالة الى عماد من اهله يخبرونه بأن والده قد توفي.
- اديب: الى رحمة الله، واين هو الآن.
- ماهر: خرج بعد ان قرأ الرسالة.
- اديب: كان من المفروض ان تكون معه او لا تتركه بخرج لوحده.
- ماهر: لا تقلق، عماد كان متوقعاً ذلك، فقد اخبرني قبل ايام انه رأى والده في المنام، وكان هائلاً جداً منذ ذلك اليوم حتى بينت الرسالة اليوم حقيقة حلمه.
- اديب: طينا ان نقيم له مجلس عزاء.
- ماهر: نعم، اعتباراً من اليوم ستركب كل شيء، وسنبذل للجميع بذلك.
- اديب: انا لله واذا اليه راجعون.

- عماد: لقد قرّرتُ العودة إلى العراق.
- اديب: ارجو ان تكون قد حسبتها جيداً.
- عماد: ومن ممّا كان قادراً على ان يحسب خطواته التي بخطوها، نحن نمشي ونجهل ما يخفيه لنا القدر.
- ماهر: هل يعلم اهلك بالقرار الذي تريده؟
- عماد: نعم يعلمون، ورغم ان اخي الكبير نصحتني بعدم العودة لأن الظروف ليست على ما يرام، الا انني توكلت على الله وسأمضي.
- اديب: ربما يكون الظرف الذي مررت به، هو الذي اثر عليك في اتخاذ هذا القرار، انا معك، انه ليس من السهل ان تعلم بأنك رغم سنوات الغربة التي منعتك من رؤية والدك رحمه الله، فأنتك لن تراه ابدًا، لا شك ان لذلك وقع كبير عليك، ولكن انت تعلم انه حكم الله، وهو خير الحاكمين.
- لقد جاء عليّ ليواسيك ولم تكن موجوداً، وسأأتي الليلة لأدله، سيسافر بعد غد.
- ماهر: هل انهي عقده؟
- اديب: كلا، لقد قدّم على اجازة ووافقوا عليها، وسيسافر وهناك سيقدر ان كان سيعود ام لا.
- عماد: الله يوفق الجميع.
- ماهر: اصحابنا يتفرقون من بيننا، كل يتجه الى طريق، بعد ان جمعنا ايام جميلة، وقاسية، لقد اصبحت جزءاً ممّا، كيف سنصبر على الفراق، والى متى نبقي ملتاعين بالفراق

والدموع والحزن.

- أديب: هذا حال الدنيا، إن ما يخفف وطأة هذه الأحرار
واللوعة هو أن يتوفق أصحابنا في مساعدتهم، فلوعة الفراق
تخف عندما نعلم بأن فلان من الأصدقاء قد أصبح في وضع
فضل.

- ماهر: هل وصلتك شيء من د. علي؟

- أديب: نحن على اتصال دائم عبر الانترنت، هو الآن في
أيرلندا وقد التقى صديقه، إنه مندهش تماماً، يقول إن الحياة
هناك مختلفة تماماً عما نحن عليه.

- ماهر: أكيد، المهم أن يتمكن من الإستمرار.

- أديب: يقول إن الحياة صعبة جداً هناك، ولكن صديقه
يساعده على فهم ما يفعله من خطوات.

- ماهر: عماد سيسافر غداً، وسنستأجر سيارة إلى المطار.

- أديب: الله كم من عزيز انتهى لقاءنا به عند المطار، ومن
بذري ربما لا نجد من يودعنا عندما نريد الرحيل.

... بعد أيام

- ماهر: التقيت بسامي في زوارة وسألته عن الجماعة فأخبرني ان حسيب وخالد الآن في ألمانيا، اما سعدون وكاظم فقد ذهبا الى لندن.

- اديب: هل تعلم ان هناك رحلة جديدة ستطلق الى إيطاليا؟
- ماهر: سمعت بذلك، وقد عرض علي ان اكون معهم وانا مختار جدا.. مسكين عمادكم كان ينتظر مثل هذا الوقت..

- اديب: كل واحد ونصيبه.

- ماهر: وانت ماذا تقول في الأمر.

- اديب: في الحقيقة لا ادري ما اقول، على الرغم من النتيجة الإيجابية لو وصلنا، فأن الأمر خطر جدا، فماذا لو فشلنا الرحلة وألقي القبض علينا، هل سنبقى في وظائفنا ام انهم سينهون عقودنا؟، واذا انهيت عقودنا هل يمكننا ذلك من البقاء في البلاد، ام سيفرضون علينا المغادرة؟، اذا حصل ذلك فإننا سنفقد الاول والتالي.

- ماهر: اغلب الذين سيسافرون ليسوا من المتعاقدين، اغلبهم من اصحاب الأعمال الحرة.. ولكن قد لا نجد من يسافر معه، لو بقينا نترقب الأمور.

- اديب: هذا ما لا نستطيع ان نجزم به.. هل تعلم ان د. علي سيعود الى ليبيا !!

- ماهر: معقوله ! لماذا؟

- اديب: يقول ان التأشيرة التي حصل عليها مدتها ثلاثة

اشهر ولما ذهب الى الهجرة والجوازات لكي يجتد التأشيرة
اخبرته الموظفة ان ذلك غير ممكن ، لأن القانون يمنع ذلك
وعليه ان يغادر البلاد وان يقدم على التأشيرة من الخارج،
وواعدته انه سيحصل عليها مرة اخرى لأنه حصل عليها
ولا، وهذا سهل عليه الاجراءات.
- ماهر: لماذا لا يطلب اللجوء؟

- اديب: اخبرته بذلك ، لكنه يرفض الفكرة رفضاً قاطعاً.
- ماهر: عجيب.. الناس تغامر بحياتها وحياة اطفالها
لتصل عبر البحر وبهذه الطريقة المخيفة املاً بالوصول الى
اوربا، وعلى بيته وبين اللجوء خطوات بسيطة ويرفض
ذلك!!

- اديب: لكل واحد مبدأ ورأي، وقد شرحت له كل ذلك
واخبرته انه قد لا يحصل على هذه الفرصة مرة اخرى،
لكنه لا يستطيع ان يفعل ما لا ترضاه نفسه.. قال انه
سيخبرني بالتفاصيل عندما يعود، فكل رسائله على
الإنترنت قصيرة محدونة العبارات، لكنه يقول انه متأكد من
الخطوات التي يسير عليها، هذا ما علمته من رسائله،
واتمنى ان يتحقق ما في باله.

... في المعهد

- سيد رائد: لقد وصلتني رسالة من سلمان ورسالة من سيد حسين، وهذه الرسالة لك.

- ادیب: ان شاء الله تكون اخبارهم جيدة.

- سيد رائد: ستقرأ الرسالة وتعرف اخبارهم ربما كتبوا لك تفاصيل أكثر، ولكن سيد حسين اخبرني في رسالته ان والد سلمان قد توفي.

- ادیب: رحمه الله، كان والده متعب جدا، اذكر في الفترة الأخيرة انه كان يقول ان والده مريض جدا وعليه ان يكون هناك.

- سيد رائد: سأكتب له رسالة تعزية.

- ادیب: يقول سيد حسين ان الأمور في العراق غير جيدة هو الآن يعمل سائق اجرة بسيارته التي اشتراها عند عودته.. سلمان اشترى بيتاً، ويعمل مع صديق له في بيع وشراء السيارات.. لكنه غير متفائل بالأوضاع ابداً، وذكر لي في رسالته خبر وفاة والده رحمه الله.. يقول انه افقدنا معه.. كما يقول انه سيسعى للحصول على عقد عمل في ليبيا اذا جاءت اللجنة الى بغداد هذا الصيف، وهو يسأل ما اذا كانت هناك لجنة ستذهب الى العراق.

- سيد رائد: يا اخي مشكله، لا الباقي هنا مرتاح، ولا الراجع للعراق مرتاح، ولا اللي في اوربا مرتاح، مادري شنو قصته احده العراقيين، احده ما نعرف نعيش، لو

وضعبته خاصة.؟؟!!

- العيب: كل واحد وتجربته، ربما تلكى شخص صار له
سنين عايش في ليبيا ومرتاح ، وتجد آخر غير مرتاح في
ليبيا، ووجد راحته في اوريا، وقد يكون العكس، هناك
ظروف تتحكم بنا، فمثلا د. علي ارغمته الظروف على
العودة من ايرلندا، وعماذ لم يجد بدا من العودة الى العراق
وكذا سيد حسين وسلمان، ونحن اخترنا البقاء، على امل ان
ننتقل الى مكان افضل، انه الطموح الذي قد يصل بصاحبه
الى الهلاك، وقد يصل به الى الرضا ان وجدت القناعة مع
الطموح، لأن الطموح بلا قناعة ولا حكمة سيكون تخطأ لا
غير، وبهذا سيبقى صاحبه غير مرتاح ابدا ولو كان في
افضل مكان واحسن ظروف، انا مثلا لو ضمنت بقائي في
ليبيا لأخترت ان ابقى اطول مدة ممكنة...

- سيد رائد : انه جيلنا المسكين الذي فرض عليه ان يعيش
تلك المعادلة الصعبة وان يكابد ليفرض وجوهه ومع اننا
نبذل فوق ما نستطيع الا ان الشيطان ومن يقف وراء التحكم
بالأقدار البشرية يضيقون علينا الخناق ويتحكمون بنا من
بعيد.. هؤلاء الناس من حولنا يعيشون حياة طبيعية وما
يريدونه يجدونه ببذل جهد طبيعي، اما نحن فإننا نبذل جهدا
سريا، ومع ذلك قد لا نجد ما نريد..

لَوْنُ الْحَيَاةِ يَبْدُو غَامِضاً، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَنَحْنُ نَعِيشُ فِي زَمَانٍ تَنْتَهِكُ فِيهِ رُقَّةَ الْأَزْهَارِ وَيَسْتَبَاحُ عَطْرِهَا عَلَى الْأَجْسَادِ النَّتْنَةَ.

زَمَنٌ تَنْتَهِكُ فِيهِ حَرَمَةَ الْأَخْلَاقِ عَلَى شَفَاهِ الدَّافِعِينَ، وَتَمُوتُ فِيهِ الْمَصْدَاقِيَّةُ فِي سَلُوكِ النَّائِمَةِ ظُمَائِرِهِمْ وَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الصَّنَقِ وَيَغْرُونَ النَّاسَ بِالْكَلِمَاتِ الْكَبِيرَةِ وَالْأَصْوَاتِ الَّتِي يَحْتَاجُ قُوَّتُهَا إِيقَاعُ نَفُوسِ الْفُقَرَاءِ لَتَهْتَرُ فِيهِمْ أَوْتَارُ النُّفُسِ الْمُعَلَّقَةِ بِالْأَمَلِ دُونَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ تِلْكَ الْأَصْوَاتَ تَتَّبَعُ مِنْ تَمَثُّلٍ وَلَيْسَتْ مِنْ إِنْسَانٍ.

زَمَنٌ تَلَوْنَتْ فِيهِ شَرَايِينُ الْحَيَاةِ بِلَوْنِ أَيْضٍ شَائِبٍ، لِأَنْبُضٍ فِيهِ، وَاصْبَحَتْ الْحَيَاةُ فِتْنَةً كَهَلَةً بَاكَرَتْهَا الشَّيْخُوخَةُ فَمَائَتْ مَعَانِي الْجَمَالِ فِي وَجْهِهَا الشَّابِ السَّمْلَتِيُّ بِتَجَاعِيدِ الْقَهْرِ وَخُطُوطِ الْيَأْسِ السُّودَاءِ فِي قَسَمَاتِهِ.

لَا تَمْلِكُ إِلَّا أَنْتَظَارَ ذَلِكَ الْمَوْعُودِ، لِأَنَّنا فَقَدْنَا الْأَمَلَ بِكُلِّ مَا هُوَ مُوجُودٌ فِي التَّكَوِينَاتِ الْبَشَرِيَّةِ.

الشَّيْطَانُ تَمَكَّنَ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي النُّفُوسِ الضَّعِيفَةِ، الْمَجْهُضَةِ الْإِرَادَةِ الَّتِي لَا تَمْلِكُ قُدْرَةَ الْإِسْتِنْهَاضِ بِمَقْشُورَاتِهَا الدَّاخِلِيَّةِ لِمُقَاوَمَةِ الشَّيْطَانِ بَعْدَ أَنْ مَارَسَتْ الْقُيُوسَ الْخَارِجِيَّةَ فَعَلَّهَا وَحَاصَرَتْ تِلْكَ النُّفُوسَ فَلَمْ تَعُدْ تَجِدُ سَبِيلًا لِإِقْنَاعِ ذَوَاتِهَا بِفَوْضَى هَذَا الزَّمَنِ غَيْرِ أَنْ تَبْرُرَ انْتِشَارَ التَّلَوُّثِ الشَّيْطَانِيِّ فِيهَا عَلَى أَنَّهُ تَسْلُسُلُ اعْتِيَادِيٍّ لِمَسِيرَةِ السَّنَنِ، فَاخْتَلَطَتْ مَفَاهِيمُ الرَّحْمَةِ وَاصْطَبِغَتْ بِصِبْغَةِ الْفِكْرِ الْمَلُوثِ الَّذِي يَجِدُ

مبررا لكل فعل خطأ لكي لا يجد نفسه في موقع الملامة، هكذا أصبحت الرشوة تعني الهدية، واختلاس اموال الناس بطرق غير مباشرة أصبحت إحدى مفردات المهارة في الكسب، وذكر لفظ الجلالة المقدس والتكبير بأسم الخالق تبريرا لذبح الأبرياء كي يموت الحقيقة أمام صوت الباطل المتعالي، المتواري خلف ثوب الايمان الذي تلبسه تلك النفوس الشيطانية.

زمن سُخِّر فيه المفاهيم الكبيرة والخطوط العريضة للإنسان، والأخلاق، والانسانية، والفكر النزيه، من أجل تحقيق الاهداف الشخصية، وان كانت تتعارض مع تلك المفاهيم والقيم العالية.

زمن تلوّث فيه حيات الهواء بعد ان اطلق الشيطان زفيره في الجو، فأختنق الهواء وراح يدخل صدور الأبرياء خائفا مختنقا ليفرض على الناس اما الموت اختناقاً بذراته الملوثة بالرديلة والخطيئة التي يرتكبها الانسان في كل أن، واما التكيف معه، لا مجال لإرتداء الأقنعة الواقية، لأن اعداد جرائم التلوّث البشري كثيرة جدا ومفعولها قسوي، والمضادات التي تمنحها مقومات الحياة للناس، منتهية المفعول لاتضرب ولا تدفع ان لم تكن ضارة.

زمن تقف فيه الأيام محتشدة على بوابة التاريخ ذليلة، مهانة، خائبة، مثقلة بالإحباطات، تحمل خطايا الكبار وترمي بثقلها على اجيال من الأبرياء ولدوا مابين تاريخ

ملئى بالغدر والخانات والمؤامرات ، وبين زمن نأفه يجتر
تكررات عفة، جيل كتب عليه ان يكون منتمياً لتاريخ نموي
تصارعت فيه المصالح على حساب المبادئ في كثير من
مراحلها، فتوارث الأحفاد هذا الخزي واحتفظت لهم ازمنة
مجهضة بأئسة تركتهم يتوارثون اشواك الزمن الماضي
وان مرّت على انوفهم رائحة الورود.

زمن تلبست به عادات الجاهلية ، فأصبح الناس تماثيل
جميلة لاتعرف سوى لغة الحجارة، ولم يعد لوخر الاشواك
أثر فيها ولا لرائحة الزهور.

- ماهر: انه زمن الصراع من أجل البقاء، والبقاء من أجل
لأشياء سوى استمرارية بقاء التماثيل دون حطام ظاهري،
لأنها تحطمت من الداخل واصبحت حجارة بلا مشاعر ، بلا
عروق، بلا نبض، هكذا تتألم الطبيعة من حولنا حتى وهي
نائمة، فلا تكاد القلوب المرهفة تسمع غير انين الاشجار،
وبكاء الأنهار، وصرخات الأزهار، وهي توخر بأشواك
لغدر هنا وهناك.

- ابيب: ترى من يستطيع ان ينقذنا من هذا الزمن المتعب،
ومن يستطيع ان يعيد للتماثيل، الاحساس والشعور، من
يستطيع ان يترجم اصوات الطبيعة، ويعيد لها حسانتها
بعدماداستها اقدام التماثيل.

- ماهر: انه زمن تتقارب فيه الأصوات وتتباعد النفوس ،
تتراج فيه المصالح الجامدة وتولد الانتهازية والحياة

المفرغة من أيقاع الحقيقة الناصعة والصدق الذي يضيء على الحياة لوناً اخضرأ زاهياً، تورق على نضارته النفوس المتعبة وتعدو واقعاً مبتسماً يشد الناس الى الأمل والسعي من أجل واقع جميل بلا ألم ولا خوف ولا رعب او ارهاب.

- الحبيب: زمن لا جدوى فيه من اليقظة ، وكأن صوت ابي تمام منذ سنين يدعوا الفقراء والأبرياء والمساكين الى النوم لأنهم لن يتمكنوا من فعل شيء في ذلك الزمن، فكيف بهم وهم في هذا الزمن، هل يدري ابيو تمام ان الزمن غير ذلك لزمن وان الناس غير اولئك ؟!

- ماهر: أه يا هذا الزمن، الى متى نبقى ننتظر .

- الحبيب: يدق عراؤنا اننا ننتظر من ينتشلنا من نفوسنا المجهضة، نحتاج الى صحوة توقظنا وتبث فينا الامل، بعد ان اصبحتا نعيش في زمن ترتين فيه حياة الانسان — (بندقيّة يرفعها جبان)، او معتقد خاطئ يحمله جاهل صلف، او تمثال متحرك يبحث عن المزيد من الثروة بالتجارة في اي مجال حتى كرامة وشرف الانسان.!!! لا شك انه آخر الزمان.!!!

- ماهر: يبدو ذلك.. الأخبار ووسائل الإعلام تتحدث بكثافة عن وضع العراق وسعي المعارضة مع امريكا للإطاحة بالنظام.

- الحبيب: كلام.. مجرد كلام.

- ماهر: نتمنى ان يتخلص الناس من الظلم والظلام .

- اليب: نعم، والأهم هو ان لا يقعوا في ظلم آخر.
هل تتوقع انه ممكن ان يعيش الناس في العراق تحت حكم عادل؟؟؟

- ماهر: الله ارحم الراحمين، هو يتولانا برحمته، فما ذنبنا نحن ان كان غيرنا على خطأ.

- اليب: الشرع يعم باصاحبي، والخير يصيب الأمة فقط.
سأضطر هذه الأيام للذآخر الى وقت الليل وربما ابيت مع د.
علي لأنه على وشك العودة الى ايرلندا فقد حصل على
الفيزة مجددا.

- ماهر: الله يوفقه، وهل سينهي عقده؟

- اليب: نعم، وسيعمل لي وكالة لأنتم له الإجراءات ان
هي تأخرت او قد يحتاج الى اشياء اخرى هناك.

- ماهر: بالمناسبة، اخبرني إباد ان استاذاً عراقياً يريد
السكن معنا في البيت وهو مدرس لغة عربية، كبير السن.

- اليب: لآمانع عندي.. بعد موافقة الجميع.

- ماهر: سأبلغه ان يأتي الى هنا ونتغدى مع بعض.

- ماهر: يقول عباد في رسالته الأخيرة ان اوضاع العراق ليست جيدة وانه منذ أن أكمل خدمة الإحتياط لا يزال بلا عمل، وقد سلم على الجميع وهو يؤكد علينا عدم التفكير بالعودة.

- انيب: ليس هو فقط من يقول هذا الكلام، اغلب من رجع الى العراق تكونت عنده هذه الانطباعات التشاؤمية، الا تذكر ما حدثنا به ابو عمار وابو سامر.. انا شخصياً ماكنت اتصور ان في العراق كوارث بشرية بهذا الحجم، لقد تركنا العراق بوضع اهون مما نسمع عنه من فائن وفائن ممن قدموا قريباً من العراق.

اتذكر احاديث ابو سامر الكر بلائي، وكيف يعاني الناس في كربلاء، كيف حاصرتهم الحكومة في ارزاقهم، الأمر الذي دفع بعدد من الشباب ومنهم ابن اخته للسفر الى بغداد للعمل هناك، وكيف كانت مخابرات الحكومة تعمل للوصول الى اماكن سكن وعمل هؤلاء، وتلقي القبض عليهم وتسليمهم الى الجهات الأمنية في محافظتهم، وهناك ينزلون ضيوفاً على البعثيين ويكرمونه على طرقهم الخاصة!!!! ثم يطلقونهم. اي طعم للحياة يمكن ان يشعر به الانسان وهو محطم داخل كيان بلده.

- ماهر: المشكلة لا تقف عند هذا الحد، الادهى هو استهتار الحكومة بمعاناة الناس، والا ماذا تسمي تبجح ابن وزير او مسؤول، لا يتجاوز العشرين عاماً بسيارة حديثة

فأرسلته، ومعه حماية مسلحة، يحمل بيده الموبائل، وينزل إلى الشارع يعرض عضلاته على جوع الفقراء، أي أخلاق هذه، وأي تربية، وأي بلاء!

- أديب: لا عرابية ولا عجب فهذا هو حكم العصابات، إن ما نراه نحن غريباً هو أمر طبيعي في عرف هؤلاء، لأن المسألة تختلف عندهم فمثلاً الشرف عندك وعندني وعند الأسوياء من البشر يعني أن تحافظ على عيالك وتصور عرضك واعراض الناس، أما عندهم فإن الشرف يعني أن لا يسمح لأحد بالإعتداء على عرضه، ولأمانع من اعتدائه هو على اعراض الناس لأنه الأقوى.

والشجاعة مثلاً تعني أن تواجه عدوك وجهاً لوجه، أما الشجاعة عندهم فإنها تعني أن لا يسمح لعدوه بالنيل منه أبداً وأن يتبع أي وسيلة للنيل منه وأن كانت وسائل غير شريفة أو لا تكل على الشجاعة بمفهومنا نحن، كالغدر مثلاً أو الخديعة، لذلك فإننا نستغرب من أخلاقياتهم بينما هم يستغربون لأننا مستغربين منهم.

- ماهر: أي قدر تعيس هذا الذي تفرضه علينا الحياة.

- أديب: لعل التصعيد الإعلامي الأخير ضد الحكومة، سيؤدي إلى أحداث تغيير في العراق، لأن أمريكا في اللعبة وهي شيطان قذر، وإذا وضعت يدها في العراق فإنها لا شك مقبلة على أحداث تغيير فيه، هذا ما يبدو من خلال وسائل الإعلام.

- ابو هديل (الساكن الجديد في البيت): اتوقع ان تكون نهاية النظام في العراق قريبة جداً لأن التصعيد الإعلامي الكبير والتقاءات المستمرة والمكثفة مع معارضين عراقيين في الخارج لا شك ان لها ابعادا اكبر من مجرد الاعلام.

- انيب: هل صحيح اننا سندرك اليوم الذي نرى فيه وجهها جديدا للعراق، هل سينقشع الظلام؟؟؟

ام انه مجرد كلام!!!!.

ابو ميثم: (مدرس لغة انكليزية) لو فرضنا ان الأمور ستتغير في العراق وسيزول نظام الحكم الحالي، فهل ستعودون الى البلاد؟

- انيب: اكيد، السبب الرئيسي وراء وجودنا في امالكن مخدلة في العالم هو وجود الوضع القائم في العراق، وجود المضايقات المستمرة.. وجود الخوف المزمن، وجود الرقابة والتسلب القانوني لممتلكات الناس.. وجود الموت المبرر باسم حماية السلام.. وجود الاذلال المتعمد للمواطن وتحقيره على أرضه.. وجود العوز الثقافي لدى الحاكمين.. وجود المنافقين.. وجود جرذان النظام.. وجود ابواق مأجورة تعمل على تحطيم الانسان.... كل هذه الاشياء جعلتنا بعيدين عن الوطن، فإذا زالت كل هذه العقبات فلم لا نعود.

- ماهر: لا ادري ما اذا كان ذلك سيحصل فعلا ام لا. كنت اتسنى لو اننا في اوربا ونحصل على الإقامة والجنسية

وعندها يمكننا ان نفكر بالعودة الى العراق لأن لدينا خط رجعة، في تصوري ان امور العراق لن تروق، لأقربياً ولا بعيداً، ثم ما الدافع الكبير الذي يدفعنا للعودة ونحن لم نر ولم ننعم بأيام طبيعية في حياتنا هناك لا في طفولتنا ولا عندما كبرنا، بل العكس عندما كبرنا كانت هناك ضرائب كبيرة وقاسية تنتظرنا لنُدفعها لسجرد اننا عراقيون، لا نريد ان نعيش على ارضنا كما يريدون لنا..

- اديب: بالمناسبة، بالأمس عندما زارنا حيدر وطلب ان يتحدث اليّ بموضوع خاص، كان يعرض عليّ الاستعداد للسفر معه ومع مجموعة من العوائل التي ستتوجه عبر البحر الى إيطاليا، ولكون الرحلة تشمل العوائل فقط فقد اراد ان يسرّكي انا بالأمر لمعرفة بي وثقته ايضا، ولخطورة الأمر فقد طلب ان يتحدث معي بعيدا عنكم.

- ماهر: وماذا قلت له؟

- اديب: وافقته على ذلك.

- ابو هنديل: لماذا لم تفكروا بالأمر من قبل وخصوصا انكم هنا منذ سنين؟

- اديب: انا شخصياً لم اكن مضطراً جداً للتفكير بهذا الأمر وخصوصا انني مقيم هنا ولي عملي المستقر وعقدي يتجدد كل عام، ولم يكن موضوع الاستغناء عن المغتربين قد نضج كما هو الآن، وانا مرتاح جداً لأجواء ليبيا وطبيعتها، والتعامل مع الناس مريح نوع ما، لم اجد ضرورة للتفكير

بالرحيل عن ليبيا.

- أبو هليل: وماذا تغير الآن؟

- اديب: الآن.. اصبح العراق قريباً من مفترق طرق.. ان حصل وانتهى النظام الى حيث لا رجعة فهذا هو المطلوب، وان لم يحصل ذلك فمعناه ان لارجعة لنا الى العراق ابداً ايذاً، وفرصة بقائنا هنا تتضاءل عاماً بعد عام، وهو امر طبيعي.. يوماً ما ستحل الكوادر الليبية محل الأجبية وهذا يعني انه سيستغنى عن خدماتنا.. إذا حصل ذلك فإلى أين نذهب؟ هنا يصبح التزاماً علينا ان نفكر بمكان آخر تلجأ إليه.

- أبو هليل: افهم من كلامك ان الرحلة ليست قريبة.

- اديب: تقريباً، ما تزال في بدايتها، الترتيبات والاستعدادات، ثم ان الرحلة لن تتم الا في الصيف لأن جو البحر هذه الأيام مضطرب، وقد يسبب في مخاطر نحن في غنى عنها.

- الحبيب: اعوم طويلة مرت وأنا أتسلق جدار أحزاني
ومعاناتي كي أرى وجه بلادي . اعوام مرت وأنا انزف
جراحي بيطيء شديد وأكابى على الموت لا خشية منه
ولكن أماً في رؤية وجه بلادي، وتمر الأيام ، زهرة الأمل
تذبل شيئاً فشيئاً ، وينبت اليأس في الأعماق ، ويزداد رصيد
القهو والخوف ، عمر بكامله وأنا قابض داخل نفسي ،
محاصر بالخوف ، أطلع وجهي في المرأة عني أرى وجه
بلادي .. ثم أقرر الرحيل ماشياً في درب الإغتراب ربما
تساعدي الغربة كي أرى وجه بلادي ، ضيقت سنوات
وسنوات ، لم أكن أتصور أن انتظار الأمل يحتاج إلى أمل ،
كثيرون ماتوا خارج البلاد ، وكثيرون ماتوا داخله .. كلهم
كان ينتظر ذلك اليوم ، حتى أنني خشيت أن يتوقف بي قطار
العمر قبل أن يوصلني إليه .. كثيرون استسلموا للقدر
واعتبروا ما يرونه هو ذلك الوجه الذي عليهم تقبله للبلاد ..
وتمر الأيام والسنين ويصبح لون الأمل اصفرأ والزمان
يتشح بثوب من الروتين القاتل وخلف الستار تخفي أحداث
وأحداث ، عيون المشاهدين تترقب بأمل يشوبه خوف
كبير .. سنين طوال مرت وأنا أحاول أن (ابلغ حبة البث
المباشر) ولكني فشلت .. لذلك قررت السفر .. فتماي ثلثهم
الخطي ، ونفسي تضيق في مآهات الطريق ، وعينا ي تروي
بنموها صحراء وجهي الشاحب ، كل شيء كان يشير إلى
أن المطر الذي تنتظره الأرض منذ سنين لن يهطل ، صيف

يتبعه شتاء وليل يلف في حناياه أقماراً ونجوماً، وتطول
ساعاته ليزداد عمق الجراح ، ثم يأتي النهار ذابلاً خاوياً لا
شيء فيه يوحي بولادة يوم جديد غير تلك الأشعة الشمسية
المنبعثة من آلاف الأميال ، والتي أخذ تكرارها يقصد النهار
الإحساس بأنه يوم جديد ، عام بعد عام ، الإيمان يصل حداً
يتوقف بعده عن المواصلة .. والحب تجف عروقه في
أجساد الأحبة كلما ازدادت قضبان الحديد حولهم .. النفوس
تضيق ذرعاً ونفحات من رحيق الأمل تمدّها بالأمل، ما
أصعب أن يحيى الإنسان في انتظار مولود ميت، أو هكذا
بدت لنا الأمور .. المصلون في الجوامع والكنائس يرددون
كل يوم عبارات الإبتهاال من أجل رؤية وجه البلاد..
المهاجرون يحكون للأخرين مأساة الأبرياء وجوع الفقراء
وينقلون صوراً واضحة عن الشمس وهي تصلب كل يوم
في الساحات العامة أو في الرنانات أو في غرف المحققين
وكان العالم يرى ويسمع ولا يتحرك.

- أبو هليل: جميلة هي التماثيل في المتاحف لكنها تصبح
فبيحة عندما تمشي في الشوارع .

- العيب: هكذا يستمر النزيف وحالة الموت البطيء حتى
اقتضت مصالح الآخرين التدخل باسم حقوق المضطهدين
وباسم الحرية المفقودة وباسم العدالة في العالم وراحت تعدّ
العدّة من أجل نصرة المساكين الذين سيدفعون ثمناً من نوع
آخر مقابل تسديد القوائم القديمة عنهم ، هكذا تكشف الأيام أن

لا حكمة تسود عالم اليوم ، وان مفاهيم كثيرة قد تغيرت
ترتدي حلة جديدة لا تسير ما اعتدناه من أزياء.

- ابو هديل: على الناس أن تتعامل مع كل هذه المتغيرات
ولكن (للسير حدود) ، هاهي محطات الإذاعة والتلفزيون
تدق ملامح عالم جديد سيتشكل على ارض العراق وعلينا
ان نسجل ان ٢٠٠٣/٣/٢٠ هو بداية رسم تلك الملامح
طائرات حديثة .. قنابل ثقيلة .. مسلحون يتقدمون صوب
بغداد .. ظلم كثيف داخل النفوس .. ترقب يشويه الهلع من
كثرة أطنان القنابل التي تلقى على جسد البلاد .. الأخبار
تضارب .. النفوس تضطرب .. البلاد تن .. الفقراء تحت
سواء الطائرات يجوعون .. لا نوم ولا راحة ، الكل يترقب
أما أن يموت بإحدى قنابل التحرير! أو أن ينتظر يوما جديدا
قد يكون أسوأ من سابقه وقد يكون هو ذلك الفجر الذي
سنرى من خلاله وجه البلاد.

- ماهر: حتى الاتصالات انقطعت مع العراق، لا نستطيع
ان نعرف اخبار اهلنا هناك.

- اديب: اعصابنا مشدودة ، انها نقطة تحول غير اعتيادية،
ما رأيك ابو هديل ان نذهب الى حمزة، اكيد لديه تحليلات
لوضع.

- ابو هديل: فكرة جيدة، فلقد ارتقتنا الاخبار، وانقطاع
الاتصال بالعراق للاطمئنان على الاهل.

- اديب: مواقف اليبين طيبة معنا، هل تعلم ان المدير

اعطاني كامل الحرية في عدم التقيد بأوقات الدوام تقديرا
منه للحالة الذهنية والشد العصبي الذي نمرُّ به جرّاء وضع
البلاد.

- ماهر: حتى عندنا في المعهد كل الليبيين يسألونني عن
العراق واخبار العراق ويريدون ان يذهبوا الى العراق
للدفاع عنه.

- اديب: اكيد، هذه هي الغيرة العربية، لقد سمعت انهم بدأوا
بتسجيل اسمائهم لدى الجهات المسؤولة للذهاب الى العراق
من اجل الدفاع عنه.

- استاذ حمزة: باجماعة تراه كلشي منتهي والمسألة مسألة
وقت مو اكثر، البعضين في العراق انتهبوا.

- اديب: يعني استاذ حمزة هل تتوقع ان ينتهي النظام هناك
نهاريا.

- استاذ حمزة: خويبه الامريكان بعد ما يريدون صدام،
وامريكا ما عدها صاحب ولا صديق، مصلحتها وبس،
ومصلحتها هسه تقتضي ان ينتهي حكم صدام.

- ابو هديل: كنا نتمنى ان يسقط النظام من الداخل، وان
لا نحتاج الى قوة خارجية، لأنه مهما يكن فإنه سيعدّ احتلالا
وان برزوه على انه تحرير.

- اديب: شاءت الظروف ان تلحق مصالح العراقيين مع
مصالح امريكا وهي الخلاص من حكم صدام، وعلينا ان
نستفيد من ذلك لصالحنا.

- استاذ حمزة: وهل سيدرك جما عتنا ذلك ويستفيدون من هذا التزامن لصالح البلاد؟
- اديب: هل تشك في ذلك؟
- ابو هديل: المشكلة ان اغلب الناس في العراق لا يعون حقيقة الوضع الذي سنكون عليه، واخشى ان تظهر مشاكل عديدة تعيق استقرار البلاد.
- اديب: تره العراقيين واعيين لهذه الأمور، واكيد ان رحيل النظام سيجعلهم على اعتاب بداية جديدة نظيفة، وسيعملون على ذلك.
- ابو هديل: العراقي بطبيعته يرفض ان يكون محتلاً وقد كان للعراقيين تجربة مع الاحتلال الانكليزي.
- اديب: يعني صمود (ام قصر) اكثر من اسبوعين بوجه الامريكان والانكليز هو دليل على ذلك؟
- استاذ حمزة: هنا المعادلة تختلف، لأن الناس في العراق تعتبر ما يحدث الآن فرصتهم الذهبية للخلاص مما هم فيه ولذلك فإنهم لن يبادروا منذ الآن لمقاومة المحتل، ولكن الذي يحصل هو ان فدائيي صدام الذين درّبهم منذ سنين على العنف والارهاب هم الذين يديرون المعركة مع الامريكان باستخدام الناس في المنطقة كدروع لهم وكسواتر، لأنهم في حالة نفاع عن وجودهم، فهم ملتقون من ساستهم ان وجودهم مرهون بزوال الامريكان وتدمير الشعب، واذا حصل العكس وسيطر الناس على زمام

الأمر فلن يرحموا احدا منهم، لذلك فهم مستثمون في الدفاع عن وجودهم كسلطة في البلاد.

- اديب: لا احد هنا يصدق ان نظام الحكم في العراق بهذا الإجرام بحيث ان الناس ترى الامريكان والانكليز يدخلون البلاد دون ان يحركوا ساكناً، بل ان بعضهم حدثني مستغرباً عن حالة الفرح التي انتابت البعض لما يجري في البلاد.

- ابو هديل: اخي، الناس خارج العراق معذوريين، لأن الإعلام جعل من صدام رمزاً كبيراً، وقد سمع غداً من يوبخنا ويشتمنا كرد فعل لقوة تأثير الإعلام الحكومي في العراق على الساحة العربية.

- استاذ حمزة: لكن الايام القادمة ستكشف المستور وسيعرف الجميع حجم المأساة الكبرى التي عاشها العراقيون، والتي سيعيشها ثمناً لهذا الانجاز.

- ماهر: واجماعة، اليوم شاشات التلفاز مشـغولة منذ الصباح بخبر التظاهرة العراقية الكبيرة في بغداد وقد تم اسقاط تمثال صدام..

- اديب: يعني انتهى كل شي.

- ابو هديل: لنخرج اليوم الى المقهى ونرى ذلك، انه يوم مثير ٢٠٠٣/٤/٩.

- اديب: اسمع ابو هديل ما تقوله هذه الفضائية... حتى تمثال صدام لم يتمكن العراقيون من اسقاطه لوحدهم فاستعانوا بالدبابة الامريكية....

- ابو هديل: ستسمع كلاماً كثيراً من هذا النوع، وهذا طبيعي فقد كانوا منتفعين من كوابات النفط والولائم الفخمة و... المهم ان ماكن ينتظره الناس قد تحقق.

- اديب: اسمع تعليق هذه الفضائية.... سقط تمثال صدام ولكن اقدامه بقيت ثابتة في العراق....

- ابو هديل: الخوف الآن من ظهور هذا النوع من المشاحنات والتوترات، فالناس ستعبر عن فرحتها لسقوط النظام وانتصار النظام سيعبرون عن سخطهم لذلك وقد ينتج عن كل هذا كدهورا في الاوضاع.

- اسناد حمزة: هل تتصورون ان البعثيين سيتقبلون ذلك بسهولة، حتى من الناحية العملية كيف سيتقبل شخص بهذا الحال، بعد ان صنع منه صدام شخصية قوية وخطرة ومتفذة في البلاد، وكيف سيتقبلون ان يتسلم الحكم من كانوا

تحت رحمتهم طيلة عقود، اكيد انهم مدركون ان لابقاء لهم على قيد الحياة بعد هذا التغيير.

- اديب: الا تسمع بين الحين والآخر في الأخبار عن اغتيال لرفيق الفلاني والمسؤول الحزبي الفلاني، وغيرها.
بس ان شاء الله الناس أكثر وعياً لتجنب الإنحدار الى الهاوية.

- استاذ حمزة: من اين يأتيهم الوعي، طيلة ثلاثة عقود وهم محجور على افكارهم ومصادرة عقولهم.. البعثيون حولوا العراقيين الى اموات وما هم بأموات.. المواطن مهموم بالمعيشة او بالحد الأدنى من المعيشة.. من اين سيأتي بالوقت وسعة البال والراحة كي يتعلم ويتوقف ليتمكن من رؤية ما يدور من حوله.. ألم تسمع ما يذقله العراقيون لقائمون من هناك.

- ابو هليل: بس مع كل الأحوال لن يكون الوضع اسوء مما كان، اعتقد انه علينا ان نكون هناك لنمارس دورا فيوعية الناس وان نؤدي دورنا كعراقيين في الحياة الجديدة.

- ابو ميثم: اعتقد ان البقاء لفترة اطول هنا هو الافضل ريثما تتضح معالم الوجه الجديد للبلاد ولا تنسوا ان امريكا هناك.. وامريكا لن تسمح للعراقيين بتشكيل حياتهم كما يريدون.

- اديب: لو كان بالإمكان الحصول على اتصال مع الاهل نعرف اخبارهم.. ومنهم نعرف حقيقة ما يدور.

- ابو هذيل: يقولون انه يمكن الاتصال بالعراق عبر الذريا، ولكن كيف ستعرف الرقم الذي يمكن ان تجد اهلك من خلاله.

- ماهر: علينا ان ننتظر، والله كريم.

... في المعهد ...

استاذ اديب ... استاذ اديب....

- اديب: نعم استاذ .. خيرا ان شاء الله.

- المفير: اسرع يا رجل، مكالمة من العراق.

اديب يجري مسرعا صوب الادارة.

- اديب: استاذ انت متأكد من العراق.

- المفير: كلمني راغل وكال انه يتصل من العراق وبييك.

- اديب: الو، نعم... يا رحمة الله.. انه ابي، انه ابي باجماعة.

- التليبيون: مبارك يا استاذ والحمد لله على السلامة طمنا

كيف احوالهم ان شاء الله كلهم بخير.

- اديب: الحمد لله كلهم بخير، انا مسرور جدا.

- ابو عجيبة: يعني توه اتجيبكده عصير.

- اديب: اي والله.

- رمضان: شني عصير، يا ودي هاي حكها ذبيحه.

- المفير: العصائر تكفي توه، وبعدتالي يدبر اللي يدبره،

المهم انه اتطمئن على اهله وكلهم ابخير، مسكين كان

متعشش عليه عليهم.

- ادیب: الله يبارك فيكم جميعاً، مشاعركم النظيفة خير
ترجمان لما في نفوسكم، انا ممنون لكم جداً.

- المنير: لا داعي لهذا الكلام، احنه مادناش حاجة، انت
واحد منه وهذا اقل ما يمكن ان انديره.

- ادیب: فرحتكم وانتم تسمعونني اكلم والذي عبر الهاتف
لا يمكن ان تكون مجرد مجاملة، لقد رأيت الفرحة تنطلق من
اعماقكم.

- رمضان: لا تنس اننا عرب ، وما يُفرح غيرنا يفرحنا،
ولقد تألمنا جداً لتساوة الضرب والهجمات على العراق
بالأخص على الأبرياء.

- اديب: الله ما اجمل الليل في رقداً لين، انه يغفو على ايقاع الطبيعة الهادئة الذقية، هدوء ساحر يلف حنايا الليل، يترك المجال مفتوحاً للخيال ليكون خصباً ثرياً، منطلقاً الى مسافات بعيدة مترامية الاطراف في الفضاء الرحب النظيف في سماء ليبيا، بينما ليل العراق طويل ثقيل منذ وقت بعيد، ليست السماء هي السماء، ليس الليل هو ذات الليل، والصباح نفسه هنا وهناك؟!!

- ابو هديل: ايذا لم تكن الطبيعة سبباً وراء معاناة الإنسان، انما الإنسان كان ومنذ الأزل عدو نفسه وهواجسه، شيطان الإنسان هو من جعل ليل العراق يستمر اربعاً وعشرين ساعة، بينما تسلمت الطبيعة هنا ادارة هذه الدورة فكان الليل وبعده الصباح، صحيح ان الحياة الليبية روتينية جداً، لكنها طبيعية، وهذا باعترافي امر مهم.

- ماهر: طبعاً هذا امر مهم، لقد لوثوا حتى الهواء في العراق.. الماء رغم وفركه وعذوبته، بات من شدة التلوث البشري غير صالح للشرب، ليس هذا فحسب بل وجفت منابعه، ألم تحدثنا يا اديب عن ذلك كما اخبرك فرات في رسالته عندما كان في العراق.

- اديب: اذا عدنا الى العراق قد نندم على كل لحظة هدوء عشناها في ليبيا، وهذه الطبيعة الجميلة ستكون حلماً بالنسبة لنا ترأودنا في المنام فقط، سنقتد كل ذلك، دعونا نستشوق نسمات هذا الهواء، ونستمع بهذه اللحظات، لأن الغد الذي

ينتظرنا في العراق لا شك انه سيصادر كل هذه اللحظات،
من يدري قد لا نستطيع العودة الى ليبيا ان نحن فقدنا
الإستقرار في بلادنا.

- ماهر: ليبيا ليست مغرية الى هذا الحد..

ماذا ستقول لو كنت في اوربا.

- اديب: انا اتحدث عن واقع اعيشه الان، واقارنه بما كنت
عليه، اما لو اصبحت في اوربا وعشت هناك فعندها سيكون
للحديث منحى اخر.

- اديب: لكن اغلب من وصل الى اوربا يتحدث عنها بشكل
مثير ومحفز للذهاب.

- ابو هليل: لكل شخص تجربته، كما ان السفر نوع من
ضربات الحظ، قد توفق في سفرك وقد لا، وعلى اساس
ذلك يتكون انطباعك عن البلد الذي كنت فيه، انا شخصياً
اعرف صديقاً لي وصل الى اوربا منذ سنين وهو الآن
ينتظر مجرد فرصة تسمح له بجمع مبلغ بسيط من المال
يكفيه لشراء بيت من غرفة واحدة له ولعائلته ليرجع الى
العراق، هذا الكلام ليس بعيداً، فقد اتصل بي على الانترنت
قبل ايام وحدثني عن معاناة كبيرة يعيشها هناك، اطفاله
بعيدون عنه، ولا يستطيع ان يستصحبهم، لأن وضعه من
حيث اللجوء لا يسمح له بذلك، كما انه لم يوفق في الحصول
على عمل هناك.

- اديب: اذن المسألة مسألة توفيقات، ومن يدري لعلنا في

- نعمة لا ندرك قيمتها، أتمنى ان لا نتأسف على مثل هذه الايام
ومثل هذه الاجواء الهادئة اللطيفة والامان والاستقرار.
- ابو هديل: العراق سيشهد حياة جديدة، وستكون خضراء
ان شاء الله، وعلينا ان نكون هناك لنؤدي دورا فيها.
- ماهر: من سيسمح لنا بذلك؟!
- ابو هديل: الوضع الجديد.
- اديب: الاخبار متضاربة، منهم من اتصل بأهله ونصحوه
بعدم العودة لأن الأوضاع لا تزال غير مستقرة، وشخص
آخر يقول ان اهله نصحوه بالعودة لأن الأمور ممتازة.
- ابو هديل: نحن ايضا علينا ان نتصل لنعرف من اهلنا
ماذا يجري معهم.
- ماهر: ما رأيكم بان نذهب الى طرابلس، نتدبره ونقضي
اليوم كله، ومن هناك نتصل.
- اديب: فكرة ممتازة، منذ وقت طويل لم نذهب الى
طرابلس.
- ابو هديل: انا ايضا اوافقكم الفكرة، اختاروا يوما يناسبنا
جميعا.

في طرابلس، وفي شوارعها الجميلة ذات الطراز المعماري
القديم، وفي الساحة الخضراء...

- اديب: انها اجواء لطيفة، لكن الحركة المستمرة
والصخب في العاصمة لا يعطيني مجالاً للاستمتاع بمنظر
البحر الأبيض المتوسط، ومنظر البنايات الجميلة، انني لا
احب الضوضاء والصخب، اميل الى الهدوء والمناطق
المكتوفة الواسعة، لقد عشت عشري بكامله في العاصمة
بغداد، ازعجتني الشوارع المزدحمة، واختلاف الناس
وتوجهاتهم... في العاصمة عادة تتنوع اهداف الناس.. الحياة
هناك تفرض على الناس تكاليف اكثر من الاماكن الاخرى،
قد يدفع ذلك البعض الى اساليب غير نظيفة للعيش، لاتجدها
ابدا في منطقة مثل رقدالين او الجميل او زوارة او الزاوية
وغيرها، تشعر بأن الحياة مختلفة هنا في العاصمة.
الزاوية مثلا مدينة كبيرة، وفيها مواصفات العاصمة تقريبا
ومع ذلك فهي هادئة، انها تعجبني جدا.

- ماهر: ولكن يبقى للعاصمة اهميتها وللحياة فيها دروب
كثيرة، يعني مثلا لو كنا في العاصمة، لاستطعنا الحصول
على فرص عمل كثيرة، بينما في الجميل او رقدالين فأن
فرص العمل هناك محدودة جدا قياسا للعاصمة.

- اديب: هذا صحيح عندما تكون بلا عمل في المكان الذي
انت فيه، اما وانتك متعاقد مع الدولة، والعقد في رقدالين هو
نفسه في طرابلس، نفس الحقوق والامتيازات.

- أبو هذيل: اعتقد ان هذا النقاش مرهون بميول كل واحد
فينا ، اديب مثلاً يحب الهدوء والاماكن المفتوحة ولا يعير
اهمية لامتيازات العاصمة الاخرى ، ويكتفي بأن يستمتع بهذه
الامتيازات بين الحين والحين عندما يأتي اليها ، اما انت يا
ماهر فربما على العكس.

- ماهر: مثلاً في مناطقنا لا توجد اماكن للتنزه مثل ما هو
متاح في العاصمة، نحن هناك محددين بين الدوام والبيت
و(الجميل) ليس فيها الا شارع واحد.

- اديب: هذا يحدده الكيفية التي تريد بها قضاء الوقت، أنا
اجد المتعة في الإبتعاد عن الإختلاط الكثير مع الناس،
والكمبيوتر والكتابة والقراءة تأخذ الوقت الكافي عندي
للتمتع، وعندما امل كل هذا أقوم بنزهة مثل التي نحن فيها
الآن.

مارأيكم ان نذهب لتشاركية اتصالات بعد الظهر، عسى ان
نوفق في الاتصال بالعراق.

- ماهر: نقضي وقت الظهر في احد مقاهي الانترنت،
وعند العصر، وبعد ان نخف وطأة الحر نذهب للاتصالات.
- اديب: ماشي الحال.

- أبو هذيل: اعتقد ان هذا النقاش مرهون بميول كل واحد
فينا ، اديب مثلاً يحب الهدوء والاماكن المفتوحة ولا يعير
اهمية لامتيازات العاصمة الاخرى ، ويكتفي بأن يستمتع بهذه
الامتيازات بين الحين والحين عندما يأتي اليها ، اما انت يا
ماهر فربما على العكس.

- ماهر: مثلاً في مناطقنا لا توجد اماكن للتنزه مثل ما هو
متاح في العاصمة، نحن هناك محددين بين الدوام والبيت
و(الجميل) ليس فيها الا شارع واحد.

- اديب: هذا يحدده الكيفية التي تريد بها قضاء الوقت، أنا
اجد المتعة في الإبتعاد عن الإختلاط الكثير مع الناس،
والكمبيوتر والكتابة والقراءة تأخذ الوقت الكافي عندي
للتمتع، وعندما امل كل هذا أقوم بنزهة مثل التي نحن فيها
الآن.

مارأيكم ان نذهب لتشاركية اتصالات بعد الظهر، عسى ان
نوفق في الاتصال بالعراق.

- ماهر: نقضي وقت الظهر في احد مقاهي الانترنت،
وعند العصر، وبعد ان نخف وطأة الحر نذهب للاتصالات.
- اديب: ماشي الحال.

... في مقهى الانترنت ...

- د. علي: هلو اديب، شلونك.
- اديب: هلو تكتور، شلونك انت.
- د. علي: شنو اخباركم، شلون الجماعة ..
- اديب: الحمد لله كلهم زينين انت شلونك وشلونها ايرلندا ؟
- د. علي: الحمد لله ابخير، شنو اخبار العراق، اخبار اهلكم هناك ؟

- اديب: الحمد لله زينين اتصل بي والذي في المعهد وهم بخير، وانت شنو اخبار اهلك ان شاء الله زينين ؟
- د. علي: الحمد لله زينين، ماهو صدى الحرب عنكم ؟
- اديب: الليبيين متعاطفون معنا، منهم من يلومنا على فرحتنا لزوال النظام ومنهم من يرى ان ذلك شأننا ونحن اذرى بما في شعاب بلادنا، ونحن هنا في حيرة من امرنا، هل نعود ام نبقي نترقب ماسيحصل.
- د. علي: اعتقد ان الأمور متجهة صوب الأحسن، الشركات الأوروبية ستتجه الى العراق لأعمال الإعمار والبناء واعتقد ان فرصتكم ستكون جيدة هناك، لأن المشاريع ستكثر وستكون الحاجة ماسة للمهارات والخبرات.

- اديب: في الحقيقة ان الأخبار متضاربة ونحن ننتظر ان نتصل بالعراق ونحدث الى اهلنا لنعرف مايجري هناك، ثم نرى رأينا، اما البقاء او العودة، والمشكلة انه اذا بقينا فإننا

سنضطر للبقاء حتى الصيف القادم لأن الإجازة ستنتهي ولحد الآن نحن بدون إقامة، لقد تأخرت إجراءات العقود هذا العام بشكل غير اعتيادي.

- د. علي: لو كنت تستطيع الذهاب الى العراق في إجازة لكان أفضل، منها ترى أهلك وترى الوضع كما هو، فإن أعجبك عدت وانتهيت خدماتك، وإن وجدت الأمور ليست على مايرام بقيت في عملك.

- اديب: مع الأسف ضاع هذا الخيار من ايدينا.

بلال يدخل على الخط من ماليزيا....

- هلو اديب شلونك عيني...

- اديب: اهلا بلال، شلونك، مشتاقين

- بلال: انا اكثر، ماهي اخباركم، ماهي اخبار العراق؟

- اديب: د. علي يسلم عليك هو معي الآن على الخط.

- بلال: سلامي لكل اصديقاتنا جميعا، هل مايزال علي في برلندا؟

- اديب: نعم. ماهي اخبار الدراسة معك، وكيف وجدت ماليزيا؟

- بلال: مستوى الدراسة ليس صعباً، والماليزيين خلّكهم طويل جداً، وأنا بمجرد ان اكمل دراستي فلن ابقى في ماليزيا ابداً، لقد ملّلت الحياة هنا، ولولا انني اصبحت امام الأمر الواقع لتكرت ماليزيا فوراً.

- اديب: الهذا الحد انت منزعج من الوضع؟ اليس ماليزيا

بلادا جميلة ؟

- بلال: انها جميلة، ولكنني غير مرتاح، ربما بسبب الابتعاد عن الاهل، وبسبب الانشداد الذهني والعاطفي صوب العراق ومايجري هناك، وربما لأنني اشعر ان الدراسة هنا لاتضيف الي رصيدي المعرفي الا القليل، لا ادري...

- اديب: كلها اشهر وتكمل الدراسة وتحصل على الماجستير، انه انجاز يابلال.

- بلال: هذا مايصبرني.

- د. علي: ماهي اخبار فرات ؟

- اديب: لايزال في الاردن، يترقب الاحداث كما نترقبها .

- د. علي: ندعو الله ان ييسر الأمور في العراق كي نعود.

- اديب: هل تشعر بالغربة يا علي ؟ وهل هي مختلفة عما كنت عليه في ليبيا ؟

- د. علي: هنا الغربة حقيقية وثقيلة الوقع لأنك هنا ملزم بلغة، واناس غير الذين اعتدت عليهم، اما ايام ليبيا فإنها لم تكن غربة كما اعيشها هنا، كانت اياماً جميلة، هل تتصور انني احاول ان اعود الى ليبيا اذا ما حصلت على عقد عمل.

- اديب: معقولة !!!

- د. علي: ليس بهذه السرعة، وانما اريدها خط رجعة، قد لا اتمكن من المواصلة، فالحياة هنا صعبة ومكلفة ، انه عالم جديد مختلف عما كنا عليه، هنا لا يستطيع ان يعمل طبيباً لأنهم يطلبون مئى اوراقا ومستمسكات ، والعراق بهذا

الحال، وهناك اختبار لغة، ولابد ان احصل على هوية نقابة
الاطباء حتى يمكنني العمل كطبيب، هناك معوقات كثيرة.
اريدك ان تتحدث مع الدكتور محمد العراقي، فهو ذو
علاقات كثيرة ويمكنه مساعدتي.

- اديب: ان شاء الله، بس انت حاول ان تصبر.

- بلال: انت هم ناوي ترجع للعراق؟

- اديب: في الحقيقة عندي دافع قوي لذلك ومتردد في
لوقت نفسه.

- بلال: ان شاء الله كلنا نرجع، وننتخلص من الغربة.

- اديب: من منا لا يمتنى ذلك.

- بلال: اعتقد ان التوقيت الآن للعودة ليس مناسباً فما تراه
الأوضاع غير مستقرة، الناس لم يفيقوا بعد من احوال
الحرب.

- اديب: نحن هنا امام خيار لا ثالث لهما، اما الانتظار حتى
الصيف القادم، او الإنهاء الآن والعودة الى العراق.

- بلال: ومع اي خيار انت؟

- اديب: قد انهي عقدي هذا العام واعود اذا كانت نتيجة
الاتصال باهلي ايجابية.

- بلال: وماذا عن الجماعة؟

- اديب: هناك اشاعة تقول انه سيصدر قريباً قراراً يقضي
بانتهاء عقود عدد كبير من حملة شهادات البكالوريوس
لإحلال العناصر الوطنية مكانهم.

- بلال: وماذا عن حملة الماجستير؟
- أبيب: أمورهم تمام، يعني أنت إذا الله سهل واكملت الماجستير يمكنك المجيء الى ليبيا والحصول على عقد عمل.
- بلال: بلقي ان شاء الله نرجع للعراق.
- أبيب: الله كريم.

.... في مدينة الزاوية

- اديب: سأقيم طلباً لإنهاء خدماتي هذا العام وأعود إلى العراق.

- رافد: هل فكرت بالأمر جيداً، أنا لا أريد أن أعارضك ولكنني أريدك أن تفكر ملياً، وإن لا تأخذك العواطف صوب الأهل وما جرى لهم، عليك أن لاتنس أن الله هناك معهم جميعاً، أهلي، وأهلك، وكل العراقيين الذين لأحول لهم ولا قوة.

- اديب: أقدر كل هذا، واعتقد أن الوقت المناسب للعودة قد حان. ماذا عنك؟

- رافد: أنا سأتبقى ريثما اقتنع بفكرة العودة.

عندما تكون هناك بين أهلك.. تذكرني، وتذكر تلك الأيام التي عشناها سوياً، قد لا أجد الوقت الكافي لتوديعك لأنني سأسافر قريباً لقضاء اجازتي في العراق وسأترجع هناك إن شاء الله.

- اديب: وكيف انسى تلك الأيام انها أروع رصيد سأحمله معي وأجمل تكريات، وأكيد أننا سنكون على اتصال على الانترنت ومقدياً أتمنى لك الموفقية.

هل صحيح أن كل السنوات الماضية مرّت هكذا بسرعة، كم كنا نعاني الروتين الممل. هل كنت تتصور أنك ستبقى بعيداً عن أهلك كل هذه السنة. انه حكم القدر، هكذا لا نملك شيئاً غير تنفيذ الأقدار، حتى عودتي أشعر بها حكماً قدرياً أكثر

منه قراراً اتخذته دون مؤثرات أو مغريات.
- رافد: اذا كان هذا قدراً كما تقول فعلينا ان نحمد الله عليه،
فقد كان قدراً جميلاً، منحنا ملاذاً امناء، وصحبة جميلة،
ورزقا طيبا.

- اديب: ترى كيف هو العراق اليوم ، وبماذا يشعر الناس
هناك بعد ما جرى .. اتذكر كم عانى الناس ايام الحرب مع
ايران .. وكم عانينا ايام الحرب على الكويت .. وكم كانت
معاناتنا كبيرة زمن الحصار ، اتذكر الخبز الاسود المخلوط
الذي كنا نأكله ، ترى هل سيجد الناس بعد كل هذا من يقف
الى جانبهم ويعوضهم كل تلك السنين العجاف ؟؟ ام ان ليل
العراق مايزال طويلاً ..

- رافد: ان شاء الله ستتغير الامور الى الاحسن ومهما
كانت الحكومة التي ستأتي فأنها .. اضعف الايمان ..
ستكون ارحم من حكومة النظام السابق .

... في رقدالين ...

- اديب: اذن ستعود الى العراق بعد كل هذه السنين الطويلة.

- استاذ حمزة: نعم، فقد انتهى مبرر وجودي خارج الوطن، بمجرد ان انتهى من الاجراءات الروتينية هنا ساكون في بغداد، متشوق لرؤية البلاد بعد تلك الظلم الطويل.

- ابو هليل: اكيد سيكون لك دور مهم استاذ حمزة، اليس كذلك؟

- استاذ حمزة: اعتقد راحت علينا، المهم ان نجد من يقرأ معاناتنا وهمومنا، لأنريد مناصب ومراتب، يكفينا ان يقرأ الآخرون اننا نرفنا اعمارنا ونحن نحترق اغترابا بعيدين عن الوطن.. نحمل الآلمه بين اضلعنا.. حتى اذا ما ارتفعت حرارة الشوق، سكبت العيون لمعها، ورن في القلب جرس الخوف من المجهول، ومن حلقة الظلم، وديمومة الوجد.. وها نحن نصل النهاية.

- اديب: سنوات الغربة التي عاشها العراقيون في الخارج وفي مختلف الدول اكيد ستكون رصيذا مهما يخدم البلاد في مرحلة ما بعد عودتهم.

- ابو هليل: الهجرة هي احدى طرق البحث عن الزمان والمكان، واعتقد ان اللذين امضوا سنوات طوال خارج البلاد واستقروا هناك، اعتقد انهم لن يفكروا في العودة، فما

قيمة العودة مادام الإنسان وجد بلادا تحمله .. يستطيع فيها
أن يحقق أحلامه ، ويضمن سلامته ومستقبله ، اعتقد ان هذه
الأمور تغني عن التفكير بالعودة ، وإذا اراد احدهم فإنه
سيزور البلاد للقاء اهله واصدقائه ومحببيه ، ثم يعود الى
وطنه المنفى .

- ماهر : هذا ما كنت اتمناه ولكنني لم اتمكن من تحقيقه مع
الاسف .

- انيب : كل من ونصديه .. انت بذلت ما بوسعك ، ولكن
الحظ لم يحالفك ..

- آدم: هناك أخبار تقول انه سيصدر قرار يقضي بإنهاء خدمات حملة البكالوريوس والإبقاء على عدد قليل منهم حسب الحاجة، هل سمعت بذلك يا أديب؟
- أديب: سمعت بعض المصريين يتحدثون في ذلك، يبدو انها اشاعة كبيرة، وعلى العموم بالنسبة لي فقد قررت العودة.
- آدم: احذنه وين اتروح اذا صارت صدك، اني ما اريد ارجع للعراق، يعجبني ابقه هنا.
- سيد رائد: ولا انا افكر بذلك الآن، علينا ان نتحدث الى مدرائنا، فان كان للخبر صدق بنقلوا ما يستطيعون لا بقائنا.
- آدم: ما نحتاج اكثر من سنة، الى ان نشوف اوضاع العراق شلون راح اتصير.

... في الجميل ...

- أبو ميثم: هل اطلعتم على قرارات الإنهاء التي صدرت.. اعداد كبيرة من المغتربين أنهيت عقودهم.. انا منهم، وماهر، ورائد، وأدم ..
- ماهر: يعني هاهيه، خلصت خبزكته..
- أبيب: الحمد لله على كل حال، وبارك الله فيما رزق.
- ماهر: وما حيلة المضطر
- أبيب: هل سرك كل تلك السنوات بهذه السرعة، واصبحنا على مقربة من العراق، يفصلنا عن رؤية وجه العراق ايام، انها رحلة جديدة.. من يدري ما اولها وما اخرها...
- .. وابنته .. ابنته.. ابنته المشوار .. جنبه وله نار أه ياخوفي،
زايح وأنا محتار...

رقدالين.. اينها المدينة البسيطة الهادئة..
 شكرًا لضيافتك لي كل هذه السنوات، بحلوها ومرها.. ها
 انا ذا امرٌ على الشوارع والطرق والأتربة أتأملك واسم
 فيك عطر الضيافة الليلية طوال تلك السنوات..
 ترى هل لنا لقاء آخر..
 هل ستتذكرني الحداثق الخضراء..
 هل ستتذكرني الطرقات التي طالما مشيتها حالما سارحا ،
 متأملا تارة ، ومهموما اخرى..
 هل سيتذكرني الليل الذي طالما تنهدت في صدره الرحب ،
 وبكيت فقد اهلي عليه ..
 هل سيتذكرني الاصدقاء هنا ام ان الايام ومشاعل الحياة
 وبعد المسافات ستحو تلك الذكريات..
 غدا عند الثانية ليلا سأودع ليبيا وهي نائمة في اجواء ذلك
 الليل الجميل، سأمر على زوارة والزاوية وطرابلس،
 سأودع الذكريات فيها .. سأمد يدي من نافذة السيارة
 لأصافح ساعات ذلك الليل وأطلب منه ان ينقل سلامي الى
 كل الأيالي الماضية التي نمتها وانا مطمئن البال..

- ... صمّان في الشهر التاسع - ٢٠٠٣ ...
- فرات: الحمد لله على سلامتكم ، الله كم مضى من وقت لم نلتق فيه ، صحيح كما يقولون الدنيا صغيرة والوجوه تتلاكه ..
- اديب: طمّني ، شلونك انت وشلونهم اهلك ..
- فرات: الحمد لله انا على اتصال بهم دوماً ، وقد نقلوا لي قبل ايام خبر استشهاد والدي ، لعلك تذكر انني ذات يوم اخبرتك انهم اخذوه ولم يعد .. بعد هروب احوان النظام ، استولى الاهالي على مراكز الشرطة ودوائر الأمن فوجدوا اسمه في قائمة المعدومين منذ سنين طويلة ..
- اديب: البقاء لله ، والبركة فيك ...
- فرات: متى نويت السفر الى العراق ؟
- اديب: هذه الأيام ؟
- فرات : والدك اتصل بي قبل يومين فقط ، وابلغني ان اخبرك ان الأمور بدأت تسوء في العراق وان امكنك البقاء في الاردن ولو لفترة ..
- اديب: لو وصلني هذا الكلام وانا في ليبيا لرأيت رأيا آخر ، اما وقد غادرتها ، فلا اهمية لهذا الكلام الآن .
- فرات : ابق هنا في الاردن .
- اديب: لو سألتك وطلبت ان تكون صادقاً معي ، هل انت مرتاح هنا في الاردن ، عملك ، اقامتك .. ؟
- فرات: كلا ، غير مرتاح ، ولكن ما باليد حيلة ، اتذكر

عندما كنت اطلب منك ان تحصل لي على عقد في ليبيا كي
اعود اليها ، ذلك لأنني هنا غير مرتاح ..

الشرطة بين الحين والحين تباعث العراقيين في اماكن
عملهم وسكنهم وتلقي القبض عليهم وتقودهم الى الحدود
العراقية الاردنية ، بعد ان يدعى في سجن المركز يوماً او
اكثر ، هذا ام لم تسمعه الضابط كلمات مهينة .. هذا غير حالة
الاستغلال الذي يمارسه الاردنيون معنا لأنهم يعرفون
اوضاعنا .. قد تعمل عند احدهم ولا تحصل منه على حقك
المتفق عليه .. لكن هذا الكلام ليس عاماً ولكنه شائع .. مع
كل ما ذكرت لك هناك اشخاص اردنيون يعتز الواحد
بصداقتهم حقاً ..

- اديب: البلد يقاس على الحالة السلوكية الاخلاقية الشائعة
فيه، اما النوادر فلا يخلو منها بلد او مجتمع .. انت كنت في
ليبيا ومررت بتجارب كثيرة .. عملت مع اشخاص
كثيرين .. منهم من اكل حقك .. ومنهم من انصفك .. ومنهم
من كان اكثر انصافاً معك ..

كيف تريدني ان ابقي في الاردن بعد ما قلته لي .. اتدري
ماذا سألني الضابط في المطار ..؟

قال لي لماذا انت ذاهب الى العراق ؟!

- فرات: سؤال استقرازي ، هكذا هم ضباط الأمن .

- اديب: كم مرة سافرت من والي ليبيا وكم مرة مررت
بمكتب ضابط الجوازات ، لا انكر ابداً طيلة السنوات التي

عشتها هناك انني سؤلت اسئلة استفزازية كهذه، ابدا..
وماذا عنك، هل ستبقى هنا ؟

- قرأت: لا طبعاً، ولكن على الأقل هذه الفترة فقط، الأخبار
التي تصلنا من العراق لا تسر، هناك فوضى ستحل
بالبلاد..

- ادیب: في كل الأحوال انا عائد، والله يستر، وان لم اجد
الأجواء مناسبة للاستقرار، فإنني سأعود من جديد لرحلة
البحث عن زمان ومكان مناسبين.. تصورت ان معاناة
جيلنا ستنتهي بالتغيرات التي حصلت في العراق، ولكن
بدو اننا جيل كتب عليه ان ينزف ويبني في نفس الوقت.

شوارع مظلمة.. خوف يحيط المسافرين من عصابات
التسليح على الطريق.. جوانب الطرقات جرداء قاحلة ما
مرّت عليها الحياة منذ سنين .. جدران ملئى بشعارات ضد
النظام السابق.. لافتات ترحب بولادة فجر جديد في
العراق.. بنايات محفور على جدرانها آثار الرصاص ..
بنايات محطمة وسط بغداد.. جسور تبحث عن معبر تمر
عليه .. وجوه فرحة خائفة.. اي قدر هذا الذي يترك في
وجوه العراقيين بصمة الخوف مع الفرحة، اي لوحة
يرسمها الزمان على وجوه العراقيين ، هل يستطيع الفنان ان
يرسم فرحة زينة خائفة.. الناس لا يعلمون ماذا
ينتظرهم .. (جثته وله نار...)، ولكن المشوار بدأ.. الدبابات
الامريكية في كل مكان.. اصبح العراق معسكرا كبيرا..
ترى هل يمكن ان تشرق الشمس من وراء دبابه..؟!
الكاظمية كما هي، كأنني تركتها قبل اسابيع، حركة الناس،
الإزدحامات.. وجوه الناس.. كأنني انا فقط من تغير
بينهم.. نفس الوجوه الكالحة.. نفس التعب في القسمات..
نفس الخوف في النفوس.. نفس الفوضى وربما هي اليوم
كبر..

- السائق: الحمد لله على سلامتكم.. تفضلوا يا جماعة.
- اديب: لم يبق من الزمن الكثير الذي يفصل بيني وبين لقاء
اهلي، كنت متوجساً خائفاً.. قلقاً.. متعباً.. هذا بيتنا.. لا احد
يعلم بوقت قدومي.. يعلمون فقط انني قادم..

بين الوداع واللقاء تكون هناك نموع تذرّفها عيون الأحبة..
ولا يدرك احدا الفرق بينهما الا بعد ان يمرّ بالحالين.. هكذا
احسنت وانا ارى وجه امي مضاءا بقطرات براقّة من
دمعها.. كانت نموعاً فرحة.. ينعكس فرحها بريقاً يضيئ
الخد ويجذبني اليه.. وتلك السنوات الطوال ماكنت لأشعر
بــــعند ايامها الكثيرة الا وانا امام من تركتهم صغارا
ووجدتهم يافعين، كنت أقرأ في عيونهم كلاماً كبيراً وكثيراً،
كأنني بهم يسألون.. ماذا اعددت لنا نحن الجيل الجديد..
وكنت امرّ بإحباط كبير وانا ارى ربيع الحياة في عيون جيل
ربّما سيلاقي ما لقينا من نصب أو ربّما اكثر.. ترى من
يتحمل نتائج ذلك.. هل هم اصحاب الشعارات.. أم الأباء..
أم الزمن.. أم نحن انفسنا.. لم اجد في العراق ماكنت احلم
به.. الناس غير الناس.. البلاد ما عادت قادرة على ظم
ابنائها بعدما اصبحت متعبة مرهقة.. لا احد يكثر بمعاناة
الآخرين.. الجوع في المقاصل.. الحزن في العيون..
الجرح في القلوب.. الشفاء تبسّم كمدا.. هكذا وجدت الناس
في بلادي بعد اعوام الغربة.. وبعد الطوفان الذي حل
بالبلاد.. اين المستقبل الذي ننتظره.. هل كانت احلامنا
مجرد سراب.. هل انا وحدي من يرى هذه الصورة
المتشائمة بعد مرور ثلاث سنوات على تغيير النظام.
- سيد حسين: كلا.. لست وحدك.. كم كنت اتنى ان لا
تعود بشكل نهائي يا اديب.. تمنيت لو كان بيننا اتصالات

لأخبرتك بأن تقوم بزيارة مؤقتة فقط .. الأمور ليست على مايرام.. انا شخصيا اتمنى لو املك القدرة على العودة الى ليبيا التي لم يعد بوسعنا العودة اليها...!!!

- سلمان: لن تجد هنا لا الزمان ولا المكان الذي كنا نحلم به .. انتذكر رسائلنا اليك.. ألم نخبرك برغبتنا في العودة الى ليبيا ، الأمور هنا معقدة، وغير صالحة، وربما ليس هناك من أمل ..

- اديب: تصورت ان التغيير الذي حصل في البلاد سيأخذ بأيدي الناس صوب حياة افضل.

- حمزة: المشكلة ان الناس تغيرت ، واصبحت الطباع التي نراهم عليها طبيعية فيهم، بحكم التعاقب المستمر للأخطاء طيلة أكثر من ثلاثين عاما.

- اديب: انها حيرة.. بلال على الانترنت يسألني ماذا نفعل؟.. الى اين نذهب؟ اين يمكن ان نجد مكانا وزمانا.. العمر يمر ونحن من تجربة الى اخرى.. فرات سيعود الى العراق ليتزوج.. ولما اخبرته عن الأوضاع قال: .. لا تكول دنيته ولا تكول قسمته احنه أما عرفه انعيش موش الدنيه نلتنا..

د. علي مازال يتأمل ان يتحسن الوضع كي يعود..

- ماهر: اذا كنا قد وقعنا في الخطأ فعلى اصنافنا ان ينبهوا الى اخطائنا ولا يقعوا فيها.. ربما يستطيعون مساعدتنا في الخروج من هذا المأزق..

- اليب: علينا ان نفكر من جديد في طريق نبدأ به رحلة البحث عن الزمان والمكان الذي يمكن ان نجد فيهما انفسنا .. هذا قدرنا .. عندما كنا في الغربية كنا نشعر بضيق يمتد من حولنا الى كل الجهات .. ولم يكن لنا متركز نستند اليه ، وعدنا وها نحن نعيش ضيقا من كل الجهات .. لانستطيع الوصول الى اي مكان للاستقرار فيه ، اغلب الدول تمنح تأشيرة سياحية او زيارة مؤقتة محدودة .. ونحن بحاجة الى مستقر جديد .. فأين هو ..؟؟ وكيف السبيل اليه ..؟؟ هذا ما علينا البحث فيه ...